

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من
 حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية
 المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية
 مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ،
 ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس
 الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل
 رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على
 رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة
 بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ،
 ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ،
 وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. تيسير فاروق

١ - جدار الذهب ..

خيم وجوم رهيب على تلك القاعة التى تضم خيرة
 علماء وباحثى (مصر) ، العاملين فى إدارة الأبحاث ،
 التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، وجميعهم يراقبون
 تلك الشاشة الكبيرة ، التى تنقل ، بزاوية شبه حادة ،
 مشهد تلك الأحرش الرهيبة ، فى قلب (إفريقيا) ، التى
 تضاعفت الانبعاثات الحرارية الصادرة منها ، وكأنها
 تهضم فى نهم ، تلك البعثة العلمية الأمنية ، التى تضم
 (نور) وفريقه ، والتى ابتلعتها فى جوفها ، منذ
 سقوط طوائفهم فيها ..

وفى توتر شديد ، غمغم الدكتور (جلال) ، رئيس
 مركز الأبحاث العلمية ، وهو يراقب ما يحدث :

- كل شىء يتزايد على نحو مخيف .. الانبعاث
 الحرارى .. منطقة انعدام الرؤية الرقمية .. رقعة
 نفوذ ذلك الكاهن المزدوج .. كل شىء .

نطقها ، وعقله يستعيد تلك الأحداث الرهيبة ، منذ
البداية ..

منذ افتتاح تلك القاعة الجديدة ، فى متحف الآثار ،
عند هضبة أهرامات (الجيزة) ..

يومئذ ، كانت القاعة تعرض بعض الآثار الفرعونية
والإفريقية ، التى عثرت عليها البعثة الأولى ، داخل
معبد فرعونى غامض ، تحكمه عقيدة سحرة (الفودو)
فى قلب الأحرش الإفريقية ..

ومن بين تلك الآثار ، كان إصبع الشيطان ..

إصبع أخضر اللون ، له اظفر دموى مخيف ، يشير
الرهبنة والرعب فى نفس كل من يراه .. ثم ظهر ذلك
الكاهن الرهيب بفتة ..

كاهن يرتدى الزى الفرعونى ، ويتحلى بعظام بشرية ،
كسحرة (الفودو) ..

ومع ظهوره ، توالى الأحداث العجيبة ..
والرهيبة ..

كل علماء البعثة قضوا نحبهم ، على يدى ذلك
الكاهن الرهيب ، بوسائل بشعة مخيفة ، تتجاوز كل
حدود العقل والعلم والمنطق ..

كل وثائق وصور وتسجيلات البعثة تم تدميرها
تماماً ..

الأحداث المخيفة الرهيبة توالى ، على نحو لم
يحدث من قبل ، إلا فى مواجهة الفريق مع خصم
شيطانى سابق (*) ..

وفى أعماق (نور) وفريقه ، اشتعلت نيران أخرى
رهيبة ..

نيران الغموض ، والإصرار على إيجاد تفسير
علمى منطقى لكل ما حدث ..

ولم يكن هناك سوى سبيل وحيد لهذا ..
بعثة ثانية ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

المختطفون واجهوا أمورا رهيبية ، مفزعة ، مرعبة ،
وسط ظلام دامس رطب ..

أمر تمت خلالها السيطرة على عقولهم ..
تماما ..

أما (نور) و (أكرم) ، فقد كان عليهما أن يقطعا ذلك
الطريق الرهيب ، إلى المعبد الفرعوني ، الخاضع لسحرة
(الفودو) ، في قلب الأحرش الحية ..

وفي سبيل هذا ، واجههم شلال رهيب ..
شلال النار ..

جدار هائل من اللهب ، ينهر من أعلى إلى أسفل ،
على عكس كل القوانين الطبيعية ، ويكاد لفحه وحده
يذيبهما من شدته ، وهو يقطع الطريق بينهما وبين
المعبد ، حيث يحتفظ الكاهن الرهيب برفاقهم الباقين ..

وعلى الرغم من هذا ، وبمبادرة مذهلة غير مفهومة ،
وثب (نور) وسط شلال النار ..

وعلى الرغم من أن مسئولى تلك الدولة الإفريقية ،
التي تقع الأحرش المحظورة داخل حدودها ، كانوا
يعرفون كل ما يحدث ، إلا أنهم ، وتحت الضغوط
الدبلوماسية ، اضطروا لقبول البعثة الثاقبة ، والموافقة
على توغّلها وسط أحرش (إفريقيا) ..

ولكن الكاهن الرهيب كان له رأى آخر ..

فمنذ الساعات الأولى لبعثة (نور) وفريقه فى
(إفريقيا) ، بدأت المواجهة ..

طوائفهم سقطت عمداً ، داخل منطقة تتبع نفوذه ..

الأحرش الحية أحاطت بهم من كل صوب ..

ظلام صناعى مخيف سيطر على كل شيء من حولهم ..

هاجمتهم وحوش خفية ..

وأشجار متحركة ..

و

وتم اختطاف الجميع ، فيما عدا (نور) و (أكرم) ..

وصرخ (أكرم) يناديه ، بكل رعب الدنيا ..

ولكنه لم يتلق جوابًا ..

أى جواب .. (*)

كل هذا لم يعلمه أى مخلوق ، خارج منطقة
الأحراش ..

آخر ما بلغهم ، أو أمكنهم التوصل إليه من
معلومات ، هو أن طوافة البعثة قد سقطت فى قلب
الأحراش ..

بعدها انقطعت الأخبار تمامًا ..

الشيء الوحيد ، الذى رصده بعدها ، هو ما يحدث
للأحراش نفسها ، من اتساع فى رقعة النفوذ ، ومنطقة
التعدام للرؤية الرقمية ، والانبعث الحرارى ، الذى صنفه
الكمبيوتر باعتباره أشبه بعملية من عمليات الجسد البشرى
الحيوية ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزأين الأول والثانى (فودو)
و(الأحراش السلفية) .. المغامرتين رقمى (١٣٥) و(١٣٦) .

عملية الهضم ..

وكان هذا يعنى أن الأحراش الرهيبة الغامضة
تهضم البعثة ..

بعثة (نور) وفريقه ..

« ماذا ينبغى أن نفعل إزاء هذا .. »

ألقى أحد علماء المركز السؤال ، هلى مسامع
الدكتور (جلال) ، فانتزعه من أفكاره ، وجعله يمتط
شفتيه فى أسى ، مغمغماً :

- وما الذى يمكننا أن نفعله !؟

اندفع عالم آخر ، يقول فى انفعال :

- رجالنا يحتاجون إلى دعم منا حتمًا ، فى ذلك
الجحيم ، الذى أرسلناهم إليه ..

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية مريرة :

- هذا لو أنهم ما زالوا على قيد الحياة .

أعدت عبارته الوجود إلى المكان ، وراح الكل يتطلع بعضهم إلى البعض ، بنظرات ملؤها الرعب والارتياح ، قبل أن يقول أحدهم بفتة :
- إنهم كذلك .

التفت إليه الجميع ، فى لهفة تمتزج بالدهشة ، وسأله الدكتور (جلال) :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا !؟

أشار الرجل إلى الشاشة ، قائلاً فى حماسة :
- عملية الهضم هذه .

تطلع الجميع إلى الشاشة ، التى يشير إليها ، قبل أن يعودوا بأبصارهم إليه ، فتابع بنفس الحماسة :

- استمرارها يعنى أن الأمر لم ينته بعد .

استدار الدكتور (جلال) بحركة حادة ، يحدق فى الشاشة ثانياً ، قبل أن يغمغم فى توتر شديد :
- ولكنها بدأت .

ضرب العالم سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف فى حزم :

- ومازالت أمامنا فرصة لمنعها .

ثم استدرك فى انفعال :

- لو وجدنا الوسيلة المناسبة .

تألفت عينا الدكتور (جلال) وهو يستدير إليه بنفس الحدة ، قائلاً بحزم أكبر :

- لن تكون لنا مهمة سوى هذا .

ثم تحرك وسط العلماء ، متابِعاً بكل الحماسة ، التى تفوح بلمحة أمل :

- سنوقف كل المشاريع الأخرى فوراً ، ونؤجل المهم منها إلى ما بعد حسم هذه القضية .. الكل سيعيد دراسة الموقف منذ البداية ، بوجهة نظر جديدة ، وبالذات تلك لظاهرة الخاصة بالانبعاث الإشعاعى الحيوى .. سندرسها على كل المستويات ، وبكل الوسائل ، وعلى كل

لنصف دقيقة كاملة ، حدقني (أكرم) في شلال النار
بذهول ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه في عنف ، قبل أن
تنطلق انفجالاته من أعماق أعماق صدره ، في صرخة
قوية مرتاعة :

- يا إلهي ! (نور) !!!

لم يكذب ينطقها ، حتى التقطت أذناه صوتاً بعيداً ضعيفاً
يهتف باسمه ، فانتفض جسده في عنف ، وهتف في
شيء من الذهول :

- (نور) !؟

مرة أخرى ، تردّد النداء في أذنيه ..

كلاً .. ليس في أذنيه ..

في عقله ..

نعم .. في أعماق أعماق خلايا مخه الرمادية ..

واتعقد حاجباه في توتر بالغ ، وجسده يرتجف من
فرط الانفعال ، الذي اكتسب به لسانه ، وهو يقول
في عصبية زائدة :

- (نور) !؟ أهو أنت !؟

الاحتمالات ، وستكون مهمة مركز الأبحاث العلمية
الأولى هي البحث عن وسيلة للسيطرة عليها
أو تحييدها على الأقل ، و ...

قاطعته هتاف أحد العلماء المذعور ، وهو يشير إلى
شاشة الرصد الحرارية :

- يا إلهي ! انظروا !

استدار الجميع بحركة حادة ، وانفعال جارف ،
إلى الشاشة ..

وانتفضت أجسادهم كلها بمنتهى العنف ، وقلوبهم
تهوى بين أقدامهم ..

ففجأة ، ودون مقدمات ، تضاعف الانبعث الإشعاعي
الحيوي ، الصادر من تلك الأحرار الوحشية الحية ..

تضاعف على نحو يوحى بأن أمراً خطيراً عنيماً يحدث
هناك ..

عنيماً للغاية ..

اكتسبها بقتة ، والتي قرأ بوساطتها أفكاره منذ قليل ؛
ليرشده برسالة تخاطبية ، عما ينبغي أن يفعله ،
ليتجاوز شلال النار !؟

أم أنها خدعة جديدة ، من ذلك الكاهن الرهيب !؟
خدعة لدفعه إلى قلب النيران ، كما فعل مع (نور) ..
ربما كانت تلك القدرة العقلية هي أساس الخدعة ..
ربما ..

ذلك الكاهن أكسبه إياها ، حتى يدفعه برسالة وهمية
إلى القفز وسط النيران الرهيبة ..

ربما أن هذا ما حدث بالفعل ..
وما دفع (نور) إلى القيام بتلك القفزة الجنونية !
والآن تتكرر اللعبة معه ..
هذا هو التفسير المنطقي لما يحدث ..

خاصة وأن (نور) قد اختفى تماماً وسط اللهب ،
ولم يعد يجيب نداءاته ..
ولكن مهلاً ..

ارتفعت نبرة الصوت أكثر في أعماقه ، وهو يقول :
- لا تخف يا (أكرم) .. اقفز .. اقفز كما فعلت أنا ..
هيا .

حدق (أكرم) في شلال النار المنهمر ، وكرّر في
ارتجاع :

- اقفز !؟ وسط جدار النار هذا !؟ مستحيل !

مرة أخرى ، تردّد الصوت في أعماقه باهتاً ضعيفاً :
- لا تخف يا (أكرم) .. اقفز .

اتعقد حاجباه أكثر ، وسرى توتر رهيب في عروقه ،
وراح جسده يرتجف أكثر وأكثر ، على الرغم من
الحرارة الشديدة ، التي تلفح جسده ، من النيران
المنهمرة على مسافة أمتار قليلة منه ..

ولكن عقله انطلق يعمل كالصاروخ ..
ترى ما الذي يتردّد في أعماقه بالضبط !؟
أهو (نور) ، يستغل تلك القدرة العقلية ، التي

إنه أيضاً لم يطلق صرخة واحدة ..

لقد قفز وسط نيران مستعرة ، يكاد لفحها يشعل
ثيابه ، دون أن يطلق صرخة ألم واحدة !!

وهذا مستحيل !

لا آلام تفوق آلام النار (*) .

لهذا توعد بها لله (سبحته وتعالى) الكفر والمشركون
والمذنبين ..

ومن المستحيل أن يسقط شخص - أي شخص -
وسط نيران رهيبة كهذه ، دون أن يطلق ولو صرخة
واحدة !

مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

(*) حقيقة .

هذا يعنى أن الاحتمال الأول هو الأرجح ، على الرغم
من غرابته ، وتعارضه الشديد مع العقل والمنطق ،
وكل قواعد العلم المعروفة ..

« اففز يا (أكرم) .. اففز .. »

تردد النداء فى أعماقه مرة أخيرة ، بصوت باهت
للغاية ، تلاشت نهايته دون أن تكتمل ، فالتفض جسده
مرة أخرى ، وزاد انعقاد حلجبيه ، حتى كادا يمتزجان ،
وهو يعتصر ذهنه وإرادته لاتخاذ القرار ..

أخطر قرار فى حياته كلها ..

قرار بأن يقفز بإرادته وسط أكثر شيء أثار رهبته
وخوفه ، فى حياته كلها ..

شلال النار ..

ويصعوبة بلغة ، تزدرد لعبه ، وتمتم مكرراً العبارة ،
التي تتردد فى أعماقه :

- اففز يا (أكرم) .. اففز ..

تراجع فى توتر شديد ، ووقف يتطلع برهبة بالغة
إلى شلال النار ، قبل أن يضم شفثيه ، متممًا فى
خفوت وحزم شديدين :

- على بركة الله .

ودون أى سبب منطقى ، انطلقت من حلقه صرخة
عالية ، وهو يندفع بكل قوته نحو شلال اللهب ، و ...
ويقفز ..

بحركة غريزية ، رفع ذراعيه ليحمى وجهه ، من لفح
النيران الرهيب ، وجسده يندفع عبر النيران ، و ...
وفجأة ، تلتشى اللفح دفعة واحدة ..

ودون ذرة ألم واحدة ..

وفى لحظة عبوره أسنة اللهب المنهمرة ، رأى
(نور) ..

رآه يقف على حافة أخرى ، خلف شلال النار ..

نفس الحافة التى هبط بقفزته فوقها ، وهو يهتف
فى انفعال شديد :

- رباه ! لقد فعلتها يا (نور) .. فعلتها .

ابتسم (نور) ، وهو يضع يده على كتفه فى
ارتياح ، قائلاً :

- نعم يا صديقى .. لقد فعلناها .

استدار (أكرم) يتطلع إلى شلال النار من الجانب
الآخر ، هاتفاً :

- ولكن كيف يا (نور) ؟! كيف ؟! لقد عبرنا
جدارًا من اللهب ، دون ذرة ألم واحدة !! كيف ؟!
أشار (نور) إلى شلال النار ، قائلاً :

- إنها ليست نارًا حقيقية يا صديقى ، بل مجرد
خداع بصرى ضوئى فحسب .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يهتف
معترضًا :

- مستحيل ! لقد شعرنا بلفحها الرهيب !

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- هنا تكمن براعة الخدعة يا صديقى .. اللفح ..

الرياح نحونا ، فى حين أن ألسنة اللهب تنهمر ، من
أعلى إلى أسفل .. واتهماها على هذه الصورة أثار
شكوكى منذ البداية ، لأنه يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة .

همهم (أكرم) فى عصبية :

- كل ما ولجناه هنا يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة ،
والكيمياء ، وحتى علم الحشرات .

هزّ (نور) كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

- هذا صحيح ، ولكن شيئاً ما فى أعماقى أنبأتى
بأن هذه النيران ليست حقيقية .

سأله (أكرم) فى اهتمام متوتر :

- شىء مثل ماذا ؟!

تنهّد ، وهو يهزّ رأسه ، مغمغماً :

- لست أدرى .

حدّق (أكرم) فى وجهه لحظة ، ثم سأله فى
اهتمام عجيب :

تيار من هواء ساخن ملتهب ، أمام جدار من اللهب
الزائف ، يوحى بأتك تواجه شلالاً من النار .

حدّق (أكرم) فيه بذهول ، وعاد يتطلّع إلى شلال
النار ، مغمغماً :

- مستحيل !

ثم هزّ رأسه فى شدة ، وكأنما ينفض عنه ذهوله ،
قبل أن يهتف :

- ولكن كيف ؟! كيف أدركت هذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيباً :

- لم أدركه ، ولكننى استنتجته .

غمغم (أكرم) مبهوراً :

- استنتجته ؟!

أوما (نور) برأسه إيجاباً ، وقال فى حزم :

- لفح النيران كان يهبّ فى وجهينا ، وكأنما تدفعه

- وهل وثبت عبر النيران ، اعتمادًا على استنتاجك ،
وذلك الشيء الغامض في أعماقك فحسب !؟

أوما (نور) برأسه ، قائلاً :

- ألا يكفي هذا ؟

سأله في اهتمام أكثر :

- هل تثق باستنتاجاتك إلى هذا الحد !؟

ابتسم (نور) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- ألم تدرك هذا أبدًا يا صديقي !؟

تراجع (أكرم) ، وهو يتطلع إليه ، مجيبًا بأنفاس
مبهورة :

- بل أدركته .

وصمت لحظة ، ثم هزّ رأسه ، مضيفًا :

- ولكنني لم ألتصّر أن يبلغ حد القفز وسط النيران .

ومط شفّتيه ، ليتابع في عصبية :

- ثم كيف ..

استوقفه (نور) بإشارة من يده ، قائلاً :

- رويدك يا صديقي .. أيًا كانت ماهية ذلك الشيء ،

فقد عبرناه بالفعل ، ومن العجيب أن ينشغل ذهنك بأمره ،

حتى لا تنتبه إلى ما نواجهه هنا .. على الجانب الآخر .

تتبع (أكرم) إشارة يد (نور) ببصره ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما في ذهول ..

فعلى الرغم من الظلام ، الذي يسود ذلك الجانب

أيضًا ، إلا أن عيني (أكرم) أمكنهما تمييز ما يمتدّ

أمامه ، إلى مدى الرؤية ..

لقد كان صحراء ..

صحراء قاحلة مخيفة ..

في قلب الأحراش .

* * *

أخذَ الرئيسَ بالجوابِ الصريحِ المباشرِ ، فحدَّقَ في
وجهِ (أمجد) ، مغمغماً :

- إلى هذا الحد !؟

بدا (أمجد) غاضباً إلى حد ما ، وهو يجيب :

- الواقع يا سيادة الرئيس أن هذا السؤال كان ينبغي
أن يسبق الحملة ، لا أن يعقبها ، فمن وجهة نظري
كمستشار أمنى لسيادتكم ، وكرجل مخابرات سابق ،
أرى أن الحماسة قد جرفت الجميع ، للقيام بعملية
عاجلة حاسمة ، لكشف ذلك الهرم من الغموض
والأسرار ، الذى خلفه ذلك الكاهن وراءه ، بعد تلك
الأمر الرهيبة .. التى قام بها ، دون أن ينتبه شخص
واحد إلى مدى ماتعنيه هذه العملية ، وما تحمله من
مخاطر بلا حدود .

غمغم الرجل :

- جميعهم كانوا يعرفون مدى الخطر .

أشار (أمجد) بسبابته . قتلاً :

٢ - الصحراء ..

لم يكذ (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص
لرئيس الجمهورية ، يدخل مكتب الرئاسة ، فى قلب
(القاهرة) الجديدة ، حتى سأله الرئيس ، فى لهفة
متوترة :

- (أمجد) .. هل بلغتك أخبار بعثتنا فى (إفريقيا) !؟

أوما (أمجد) برأسه إيجاباً ، وهو يجيب فى حزم :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس ؛ فهذا جزء من طبيعة
عملى .

عاد الرئيس إلى مقعده ، وهو يسأله فى قلق
شديد :

- ما تقييمك للموقف إذن !؟

أجابه (أمجد) فى سرعة وحزم :

- فى منتهى السوء .

- ربما بالنسبة لأنفسهم ، ولكن ليس بالنسبة للنظام كله .

هتف الرئيس مستكراً :

- النظام !؟ وما شأن النظام !؟

تحرك (أمجد) فى الحجره ، كعادته كلما اقترن تفكيره بحديثه ، وهو يقول :

- المعلومات التى تم جمعها على عجل ، تؤكد أن تلك الدونة الإفريقية كلها تعلم بأمر ذلك الكاهن ، منذ زمن طويل للغاية ، وكلهم هناك يخشونه ، ويخشون مجرد التحدث عنه .. حتى المسئولين ، على كل المستويات ، وهذا يعنى أن بعثنا ستواجه العداء منذ اللحظة الأولى ، باعتبارها مجموعة أجنبية ، تسعى لتلوين (أرض الأرواح الخالدة) ، كما يطلقون عليها الآن .. وحتى يتم تفادى هذا ، بكل ما يمكن أن يحمله من تبعات ، كان من الضرورى القيام بعملية تمهيدية ، بواسطة مخابراتنا العامة ، قبل وصول البعثة إلى هناك .

اتعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول فى عصبية :

- ولكن هذا لم يحدث ، والأمور تعقدت بشدة الآن ، ولسنا ندرى ما الذى تواجهه بعثتنا ، فى قلب تلك الأحرار الإفريقية الرهيبة .. بل ولا ندرى حتى ما إذا كانوا على قيد الحياة ، أم ابتلعتهم تلك الأحداث الجهنمية هناك ، فهل سنبكي على اللبن المسكوب ، أم نبحث عن حل لذلك الموقف الغامض المخيف !؟

هز (أمجد) رأسه فى بظء ، قائلاً فى حزم :

- ومتى كان للبقاء على اللبن المسكوب فائدة !؟

ثم بدا صارماً حازماً ، وهو يضيف :

- منذ حدثتى ، تعلمت أن الخطوة الأولى ، للقيام بعملية ناجحة ، هى المعلومات .. معلومات عن كل ما يتعلق بالخصم أو بالعملية نفسها .

قال الرئيس فى شيء من اليأس :

- لقد بذل خبراءنا كل جهد ممكن ، ودرسوا وحلّوا

كل ما أمكنهم الحصول عليه من نتائج ، إلا أن هذا لم يمنحهم أية معلومات ، فتلك الأحرش كثيفة إلى حد مدهش ، وغامضة إلى حد مخيف ، ثم إن كل شيء فيها يسير على نمط غير طبيعي ، إلى الحد الذي يستحيل معه استنتاج أو استنباط أي أمر يختص بها ، وبما يحدث داخلها .

انقعد حاجبا (أمجد) بشدة ، وهو يغمغم في تفكير عميق :

- في الحالات المماثلة ، كنا نلجأ قديماً إلى عمليات الاستطلاع المباشر .

تمتم الرئيس مستفسراً :

- عمليات استطلاع مباشر !؟

أجابته (أمجد) في حزم :

- نعم .. في الأيام الخوالي ، عندما كنا نفشل في اختراق نظام منيع ؛ للحصول على المعلومات ، كنا نلجأ إلى عملية انتحارية ، نرسل من خلالها فريقاً

مدرّباً ، للحصول على المعلومات من المصدر مباشرة ، ونقلها إلى قسم معلوماتنا .

بدا الاهتمام على رئيس الجمهورية ، وهو يقول ، وقد استهوته الفكرة إلى حد كبير :

- ولكن تلك الدولة الإفريقية لن تقبل أي تدخل منا ، يحمل أية صفة عسكرية ، أو شبه عسكرية ، ثم إنه هناك مشكلة أخرى ، وهي أن منطقة الأحرش تدخل ضمن ما أطلقنا عليه اسم منطقة العدم ، واتعدام الرؤية الرقمية ، وهذا يعني أنه لا توجد وسيلة واحدة لنقل المعلومات ، من داخلها إلى خارجها ، ولا حتى لتشغيل أية أجهزة متطورة هناك .

قال (أمجد) في حزم :

- ربما كانت هذه مشكلة ، بالنسبة لرجال المخبرات العلمية ، الذين اعتادوا التعامل دوماً مع التكنولوجيا والأجهزة المتطورة ، وحتى بالنسبة لرجال قوات الصاعقة الحاليين ، الذين تدربوا على استخدام أجهزة الرؤية الليلية ومدافع الليزر .. ولكن ماذا لو اعتمدنا

على شخص ينتمى إلى الطراز التقليدى القديم ؟ شخص
يهبط بمظلة ، خلف خطوط العدو ، ويجمع المعلومات
بأسلوب نمطى ، مع قدرته على التعامل مع أية تطورات
مفاجئة فى الوقت ذاته ، بحيث يعود بالمعلومات ،
أو يشارك فى إنقاذ أو مؤازرة (نور) وفريقه ،
وأفراد بعثته هناك .

تساءل الرئيس فى حيرة :

- وأين نجد مثل هذا الرجل الآن ؟!

التقط (أمجد) نفساً عميقاً ، قبل أن يجيب بمنتهى
الحزم :

- هنا .

تطلع إليه الرئيس لحظة فى تساؤل ، قبل أن تتسع
عيناه فى شدة ، وقد أدرك ما يعنيه (أمجد) بقوله ..

ومن المؤكد أن هذا كان بالنسبة إليه مفاجأة !!
مفاجأة مدهشة !

* * *

لدقيقة كاملة ، وقف (نور) و (أكرم) يتطلعان فى
قلق شديد إلى تلك الصحراء العجيبة ، التى تمتد إلى
مدى الرؤية ، وسط تلك الظلام المهيب ، وعلى نحو
يستحيل وجوده فى الطبيعة ، وسط أحرش كثيفة كهذه ..

ثم غمغم (أكرم) ، فى توتر بالغ :

- الدكتور (مينا) لم يشر قط إلى هذه الصحراء !

قال (نور) ، فى توتر مماثل :

- ربما لم تكن هنا ، عندما قاموا ببعثتهم الأولى .

استدار إليه (أكرم) فى حدة ، هاتفاً باستنكار :

- لم تكن هنا ؟!

غمغم (نور) :

- ربما .

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف فى حزم :

- المهم أن نمضى فى طريقنا ، فمن المؤكد أن رفاقنا

ينتظروننا فى مكان ما .. فى قلب هذه الصحراء ، أو خلفها .

قالها ، ومضى في سبيله بالفعل ، فتبعه (أكرم) ،
متسائلاً في عصبية :

- هل تعتقد أنهم ينتظروننا بالفعل !؟

سأله (نور) ، وهو يسير فوق رمال تلك الصحراء
الغامضة :

- ماذا تعنى بسؤالك !؟

ازدرد (أكرم) لعابه في توتر ، قبل أن يقول في
عصبية أكثر :

- أعنى أما زالوا على قيد الـ ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فعضَّ شفتيه في مرارة ،
ثم هتف في غضب :

- آه لو وقع ذلك الكاهن الحقير في قبضتى .. سأجعله
يندم على لحظة مجيئه إلى عالمنا .

اتعقد حاجبا (نور) ، وقد جذبت العبارة انتباهه
واهتمامه إلى حد كبير ..

لحظة مجيئة إلى عالمنا !



لدقيقة كاملة ، وقف (نور) ، و(أكرم) يتطلعان في قلق شديد إلى تلك
الصحراء العجيبة ..

تُرى هل استولت البعثة الأولى على أشياء ، يمكن
أن تكشف هويته أو منشأه ؟!

لقد سمح لهم بتصوير وتسجيل كل ما يحدث في
منطقة نفوذه ، وهذا يعنى أن أجهزتهم كانت تعمل هناك ،
وأن ما يسجلونه لم يكن يقلقه ، بأى حل من الأحوال ..

ولكن ما إن سرقوا مقتنياته ، حتى جن جنونه ..
وانطلق خلفهم كآف شيطان ..

وبكل قوته وطاقته ، قرَّر استعادة تلك الأشياء ..
وعلى رأسها ذلك الإصبع المخيف ..

إصبع الشيطان ..

لقد جهر بوجوده ، أمام أعين المئات ، ليستعيده ..
وبأى ثمن ..

وهذا يعنى أن ذلك الإصبع يمثل بالنسبة إليه أهمية
بالغة ..

وللغاية ..

بل كل الأهمية ..

تُرى كم تحمل عبارة (أكرم) هذه من حقائق ؟!

كم يمكن أن تقترب من واقع الأمور ؟!

القوة الرهيبة ، التى يتمتع بها ذلك الكاهن توحى
بأنه لا يمكن أن ينتمى إلى عالمنا ..

وبأى حل من الأحوال ..

فهل يمكن أن ينتمى إلى عالم آخر بالفعل ؟!

هل ؟!

ولو أنه كذلك ، فمتى جاء إلى عالمنا ؟!

وكيف ؟!

ولماذا ظلَّ لسنوات ، لا يعلمها إلا الله (سبحانه
وتعالى) ، دون أن يشعر بوجوده أحد ؟!

ثم لماذا انتفض من صمته بكل هذا العنف ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

فجأة ، ودون مقدمات ، استعداد (رمزى) شعوره
بما حوله ..

لم يكن نائماً ، أو فاقد الوعي ، وإنما خُيِّل إليه أن
كياته كان غائباً ، ثم عاد إلى جسده بقتة ، فانتفض ،
واعتل ، و ...

وشعر ..

وكان من الواضح أن هذا ما حدث للجميع ، فى آن
واحد ..

كانوا كلهم يقفون داخل قاعة المعبد الواسعة ،
بمحاذاة جدرانه المرتفعة ، ذات النقوش الهيروغليفية ،
الممتزجة برموز سحرة (اللودو) ، وقد استعادوا
أزياءهم القديمة ، وإن بدت وجوههم شاحبة ممتقعة
على نحو عجيب ...

وفى منتصف تلك القاعة ، كان يستقر ذلك المذبح ،
الذى يحمل آثار الدماء ..

وفى نهاية المعبد ، حيث الجدار الضخم ، المزدان

حتى تلك الجمجمة ، التى أغرقت الدكتور (حجازى)
والدكتور (عبادة) فى تجربة رهيبية ، لم تكن تمثل
له الأهمية نفسها ، بأى حال من الأحوال ..

صحيح أنه قد استعادها أيضاً ، ولكنه لم يسع إليها
بنفس العنف والشراسة أبداً ..

وهذا يعنى أن لإصبع الشيطان أهمية خاصة ..
خاصة جداً ..

« يا إلهى ! (نور) !! »

انتزعه هتاف (أكرم) المباغت من شروده وأفكاره ،
فاستدار إليه فى سرعة متوترة ، ولكنه رآه يشير فى تفعال
إلى قلب الصحراء ، فعاد بعينيه إلى حيث يشير ، و ..
واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فما رآه أمامه ، فى قلب تلك الصحراء الغامضة
كان مفاجئاً ومذهلاً ..

وإلى أقصى حد !

* * *

بنقوش شيطانية ، كانت تستقر تلك العلبة الزجاجية
البدائية ، فوق عمود من الحجر ، وبدخلها نلك الإصبع
الأخضر ، ذو الإنظر الأحمر بلون الدم .

إصبع الشيطان ..

وعلى مسافة متر واحد منه ، فى اتجاه مركز القاعة ،
كان هناك وعاء ضخم من النحاس ، تشتعل تحته
النيران ، وينبعث منه دخان خفيف ، ينتشر فى المكان
كله بنعومة مخيفة .

وبكل توترها وانفعالها ، هتفت (نشوى) :

- أين نحن !؟

أجابها الدكتور (حجازى) فى عصبية :

- فى المعبد المزدوج على الأرجح .

تطلعت (سلوى) إلى ماترئديه فى دهشة ، قبل أن
تهتف :

- ولكننا نرتدى ثيابنا العادية ! عجباً .. ذكرتى تصر
على أننى كنت أرتدى زياً فرعونياً ، و ...

ارتجف جسدها مع صوتها ، وهى تضيف فى رعب :

- وأنى قد التقيت بـ (نور) ، فى قلب الأحرش ..

هتف الدكتور (عبادة) بكل عصبية الدنيا :

- كلنا تحمل نكرى تلك الأرياء الفرعونية .. لاريب

فى أنها تجربه حقيقية مررنا بها .

قال المقاتل (أشرف) فى توتر :

- تجربة التأمت معها كل جروحنا ، وشفيت كل

إصاباتنا على نحو عجيب .

حرك الدكتور (رمسيس) ساقه ، وهو يقول فى

دهشة :

- هذا صحيح .

تلقت المقاتل الآخر (ماجد) حوله فى توتر ، قبل

أن يقول :

- ولكن لماذا نقف جامدين هنا هكذا !؟

قالها ، وتحرك من مكانه ، و ...

وفجأة ، انطلقت من حلقة صرخة ألم هائلة ، وهو
يتراجع إلى حيث كان ، صائحاً في حدة :

- ماذا يحدث ؟!

أجابته (رمزي) بكل توتره :

- لو نظر كل منكم حول قدميه ، لرأى دائرة فضية
تحيط به .. ومن الواضح أن هذه الدائرة هي النطاق ،
الذي يمكننا التحرك فيه ، فإذا ما حاولنا تجاوزه ، تنقض
علينا تلك الآلام الرهيبة ، التي صرخ من هولها النقيب
(ماجد) .

سألته (مشيرة) في ذعر :

- هل يعنى هذا أننا سنظل واقفين هنا إلى الأبد ؟!

قال الدكتور (حجازى) ، فى سخرية مريرة :

- لو أن هذا كل ما يقلقك ، فالدائرة تتسع للجلوس
أيضاً .

صاحت به فى عصبية :

- كيف يمكنك أن تمزح ، فى ظل هذه الظروف ؟!

قال فى مرارة شديدة :

- وما الذى يمكننى أن أفعله سوى هذا ؟!

قالت (سلوى) فجأة فى انفعال شديد :

- مهلاً .. هل لاحظتم هذا ؟!

التفت إليها الجميع فى تساؤل قلق ، فتابعت فى
سرعة :

- أشعة الشمس تتسلل عبر الفتحات العليا للمعبد .

رفع الجميع أبصارهم إلى تلك الفتحات الصغيرة ، التى
تتسلل عبرها أشعة الشمس الذهبية ، وقال (رمزي) :

- رباه ! هذا صحيح .. لقد تجاوزنا مرحلة الإظلام
الشيطانى .

قال الدكتور (حجازى) فى لهفة :

- ترى هل يسرى هذا على الآخرين ؟!

سأله الدكتور (رمسيس) في حذر :

- ماذا تعنى !؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- أتحدث عن (نور) و(أكرم) .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- هل تتصور أنهما مازالا على قيد الحياة !؟

صاحت (سلوى) فى غضب :

- إنهما كذلك بالتأكيد .

أطلق نقيب البيطريين ضحكة ساخرة عصبية ،

وهو يقول :

- هذا ما تتمنيه ، وليس ما يعبر عن الواقع .

صاحت (نشوى) :

- إياك أن تتحدث عن أبى بهذه الاتهامية !

وهتفت (مشيرة) فى غضب :

- ولا عن زوجى .

أطلق الرجل ضحكة أكثر عصبية ، وقال فى عنف :

- يا للسخافة ! تتحدثن كما لو أننا نناقش انتخابات

نادى هواة جمع الطوايع ! ألم تدركن ما نحن فيه

بالضبط !؟ لقد سقطنا فى قبضة شيطان .. هل تفهمنى !؟

هل تفهمون جميعاً .. إننا فى قبضة شيطان .. شيطان

يعبث بنا ، كما يعبث القط بالفأر ، قبل أن يضم قبضته ،

ويسحقنا جميعاً .

كلماته العنيفة المحنقة أيقظتهم من سبات معنوى ،

على حقيقة رهيبة مخيفة ..

حقيقة أنهم بالفعل فى قبضة شيطان ..

شيطان لا يرحم ..

أبدًا ..

وعندما يقفون مسجونين ، وسط تلك الدوائر الجهنمية ،

فهم يجهلون تمامًا المصير الذى ينتظرهم ..

ولكن المستقبل يبدو مظلمًا ..

مظلمًا بحق ..

وفى توتر شديد ، غمغم المقاتل (ماجد) :

- وماذا لو وثبنا خارج هذه الدائرة !؟

هتف به (رمزى) فى توتر :

- حذار أن تفعل .. نلك الكاهن لا يعبث .. ولا يرحم .

اتعقد حاجبا (ماجد) ، وهو يقول فى عصبية :

- هناك حتمًا وسيلة ما ، لتجاوز هذا الحصار الخفى ..

من المستحيل أن يمتد التأثير إلى مسافة واسعة .

تطلع إليه الجميع فى قلق شديد ، فى حين قال (رمزى)

فى توتر أكثر :

- لا تفعل شيئًا .

ولكن المقاتل استنفر قواه كلها ، وهو يقول فى

حزم يمتزج بعصبية :

- التجربة هى الوسيلة الوحيدة ، لحسم هذا الأمر .

صاح (رمزى) :

- حذار أن تُقَم على أية خطوة حمقاء .. قد يقتلك

هذا .

بدا (ماجد) شديد الحزم والصرامة والإصرار ، وهو

يتحفز ، قائلاً :

- الموت أهون من الاستسلام لهذا السجن الوهمى

السخيف .

قالها ، ثم وثب بغتة خارج الدائرة ، فصرخ

(رمزى) فى ارتياح :

- لا .. لا ..

مع صرخته ، انتفض جسد المقاتل (ماجد) فى عنف ،

واتطلقت من حلقه صرخة ألم هائلة ، امتزجت بصرخة

(رمزى) البائسة اليائسة ..

وأمام العيون الذاهلة المذعورة ، سقط (ماجد) أرضًا ،

وراح يتلوى بآلام مبرحة ، وصرخات رهيبية ، فصاح

به (رمزى) :

- عد يا (ماجد) .. عد إلى الدائرة .. عد ..

كان من الواضح أن المقاتل يعاني ألماً لا قبل للبشر بها ، فقد زحف بصعوبة بالغة ، وهو يتلوّى في عنف ، محاولاً العودة إلى الدائرة الفضية ..

ثم صرخت (نشوى) في رعب ، عندما اشتعلت النيران فجأة في طرف حذائه ، وشهقت (سلوى) ، مع الوهج الذي انبعث من جسده كله ، في حين هتفت (مشيرة) بكل رعب الدنيا :

- يا إلهي .. إنه .. إنه ..

لمس المقاتل (ماجد) تلك الدائرة الفضية ، قبل أن تتم عبارتها ، وصرخات الألم ، التي تنطلق من حلقه ، تتزايد ، وتتزايد ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران في جسده كله دفعة واحدة .. وشهق الرجال ..

وصرخت (سلوى) و(نشوى) .

أما (مشيرة) ، فقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، ثم انهارت فاقدة الوعي ..

وفي ذهول مذعور ، حدق الكل في جسد المقاتل ، الذي راحت النيران تلتهمه في سرعة مذهشة ، وكان مايجرى في عروقه ليس دماً ، وإنما مادة سريعة الاشتعال ..

وخلال دقيقتين فحسب ، لم يتبق منه إلا بضع عظام محترقة ، ورائحة شواء مفزعة ، انتشرت في المعبد كله ..

ولخمس دقائق كاملة تالية ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

ثم قطع الدكتور (رمسيس) ذلك الصمت الرهيب ، وهو يهتف :

- يا للبشاعة !

وهنا انهار الدكتور (عبادة) ، وراح يصرخ :

- إنها نهايتنا جميعاً .. كلنا سنلقى المصير نفسه ، إن عاجلاً أو آجلاً .. كلنا .. كلنا ..

وبكت (سلوى) و(نشوى) في مرارة وذعر ، في حين ارتجف صوت الدكتور (حجازي) ، وهو يقول :

- إن هذا مصيرنا ، لو حاولنا مغادرة تلك الدائرة ،
أو ...

قاطعته (رمزى) هاتفاً فى انفعال مباحث :
- مهلاً .

التفت إليه الجميع فى ارتياح ، ولده الموقف البشع ،
فتابع بنفس الانفعال ، وهو يشير إلى (مشيرة) الفاقدة
للعوى :

- انظروا .. (مشيرة) فقدت وعيها .

غمغم الدكتور (رمسيس) فى حيرة :

- رد فعل طبيعى ، فالمشهد كان بشعاً للغاية ، و ...

قاطعته (رمزى) باتفعاله :

- ولكنها سقطت خارج الدائرة ، دون أن يصيبها
شئ .

انتبه الجميع إلى الموقف مع هتافه ، فحدقوا فى
(مشيرة) بدهشة ..

كان نصف جسدها بالفعل خارج الدائرة الفضية ،
ورأسها يلمس حافتها ، على نحو جعل (سلوى)
تقول بدهشة حقيقية :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

هتفت (نشوى) :

- ما الذى يمكن أن يعنيه هذا !؟

اتعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، وهو
يتطلع إلى (مشيرة) الفاقدة للعوى ، وأجابها فى ببطء ،
وكأما يزن أفكاره وكلماته بدقة :

- التفسير العلمى للمنطقى الوحيد ، هو أن فقدان العوى
يوقف التأثير القاتل لتلك الدوائر الفضية .

قال (رمزى) فى انفعال :

- أو أن إدراكنا هو الذى يمنح الدوائر الفضية قوتها ،
وتأثيرها المدمر .

قالت (سلوى) فى قلق شديد :

- أياً كان السبب ، ماذا سيحدث لو استعادت (مشيرة)
وعياها الآن ، ونصف جسدها خارج الدائرة !؟

تطلع الدكتور (حجازي) و(رمزي) إلى بعضهما
في ارتياح ، وعادا يتطلعان في ذعر إلى (مشيرة) ،
التي بدأت تتلملم في سقطتها ، على نحو يوحي بأنها
قد بدأت في استعادة وعيها بالفعل ..

أما الباقون ، فقد هوت قلوبهم بين أقدامهم ، وهم
ينقلون أبصارهم في رعب ، بين جسد (مشيرة) ،
وبقايا المقاتل (ماجد) المحترقة ..

فالننتيجة المنتظرة كانت واضحة كالشمس ..

واضحة ومخيفة ..

للغاية .

* * *

٣- المقاتل ..

« إننا نقرب من الهدف .. »

اتطلقت العبارة من بين شفתי قائد الطائرة الخاصة ،
من ذلك الطراز الذي يستحيل رصده^(*) ، وهي تحلق
على ارتفاع شاهق للغاية ، فوق أحراش تلك الدولة
الإفريقية ، في طريقها إلى منطقة العدم ، التي تتوقف
في مجالها كل الأجهزة ، وتنعدم كل الاتصالات ،
فالتقط (أمجد) داخلها نفساً عميقاً ، وقال في حزم :

- واصل طريقك ، حتى نبلغ الهدف .

كان الطيار يشعر بقلق حقيقي ، وهو يتجه بطائرته
عمداً ، نحو أخطر منطقة طيران في العالم ، لذا فقد رجع
أجهزة طائرته الأساسية والاحتياطية ، قبل أن يغمغم :

- على بركة الله .

(*) طائرات غير القابلة للرصد ، هي طائرات ذات تصميم خاص ، يمنع
رصدها بواسطة موجات الرادار ، كما يتم تلوّنها بطلاء خاص شديد السواد ،
بحيث يمتص كل الضوء والأشعة ، دون أن يعكس ذرة واحدة منهما .

أما (أمجد صبحي) نفسه ، فقد راجع أجهزته وحقبة
مطلته ، وهو يراجع الخطة التي وضعها بنفسه ، لاكتحام
تلك الأحرار الرهيبة ، وجمع كل المعلومات الممكنة
عنها ، أو التدخل عند الحاجة ..

وعلى الرغم من خطورة الموقف ، إلا أنه - وكعادته
منذ زمن طويل - لم يحمل أية أسلحة نارية ، وإنما
اكتفى بخنجر واحد ، وكأنما هو في طريقه إلى
نزهة أو رحلة صيد ، وليس إلى مهمة رهيبة
كهذه ..

ومع اقتراب الطائرة من منطقة العدم ، قال مسنول
القفز في توتر :

- أنت مستعد ياسيادة المستشار !؟

أوما (أمجد) برأسه إيجاباً ، وهو يقول مبتسماً :

- (أمجد) أيها المقدم .. أفضل أن تخاطبني باسم
السيد (أمجد) .

مطّ مساعد مسنول القفز شفتيه ، وكأنما يحنقه أن
يبتسم (أمجد) ، وهو في طريقه إلى مهمة كهذه ، في
حين قال المسنول نفسه في احترام :

- فليكن ياسيد (أمجد) .. أظننا سنبلغ الهدف خلال
دقيقة واحدة ، حسبما تقول الشاشة .

أشار إليه (أمجد) ، قائلاً بلهجة أمره :

- هيا .. اجلسا على مقعديكما أنت ومساعدك ،
وأحكما رباط حزامي الأمن ، قبل أن نصل .

أطاعه الرجلان على الفور ، في حين انبعث صوت
قائد الطائرة ، وهو يقول في توتر ملحوظ :

- عشرون ثانية ، ونبغ منطقة العدم .

التقط (أمجد) نفساً عميقاً ، ثم فتح باب الطائرة ،
فاندفع الهواء في وجهه بعنف ، وهتف به مسنول
القفز على نحو غريزي :

- احترس ياسيد (أمجد) .

أمسك (أمجد) حاجزاً معدنياً جانبياً داخل الطائرة ،
وهو يقول في حزم :

- اطمئن .

كان الهواء يندفع داخل الطائرة في عنف ، وكل من
بدخلها يضع على وجهه قناعاً خاصاً للترؤد بالأكسجين ،
الذى ينخفض بشدة ، على هذه الارتفاعات الشاهقة ،
والموقف كله متوتر للغاية ، وعلى الرغم من هذا
فقد كانت عينا (أمجد) تتألقان ؛ وشفتهما تحملان
ابتسامة عجيبة ..

فذلك الموقف ، وتلك الظروف ، كانت تعيد إليه
ذكرى قديمة ..

بل ذكريات ..

ذكريات القتل ، والحرب ، وعمليات المخابرات ، و...
فجأة ، اختل توازن الطائرة ، وتوقفت محركاتها ،
وهتف الطيار من كابينة القيادة ، بعد أن توقفت كل
الأجهزة عن العمل :

- نحن فوق منطقة الهدف ..

كانت الطائرة تهوى ، فثبثت مسنول القفز ومساعدته
بمقعديهما على نحو غريزي ، في حين هتف (أمجد) :

- على بركة الله .

ثم وثب من الباب المفتوح ..

ودون ذرة واحدة من التردد ..

ومع قفزته ، جذب الطيار تلك الذراع الإضافية في
كابينة القيادة ، فاشتعل المحرك اليدوي الإضافي ،
ودفع الطائرة إلى الأمام ، وهي ترتج في قوة ، إلى
خارج منطقة العدم ...

وما إن تجاوزت حدودها ، حتى عادت محركاتها
تعمل ، ففصل قائدها ذلك المحرك اليدوي ، وعاد
يسيطر عليها ، وهو يتنفس الصعداء ، قائلاً :

- حمداً لله .

وفي نفس اللحظة ، التي استعادت فيها الطائرة

توازنها ، وبدأت ترتفع لاستعادة مجال طيرانها
المنشود ، هتف مساعد مسئول القفز فى عصبية :

- هل جازفنا بكل هذا ، من أجل عملية حمقاء ،
يقوم بها كهل واحد !؟

استدار إليه مسئول القفز فى غضب ، قائلاً :

- كهل واحد !؟ من الواضح أنك من الغفلة والحمافة ،
حتى إنك تجهل تماماً من هذا الكهل ، الذى تتحدث
عنه بهذا الاستخفاف ..

وارتفع صوته ، وتضاعف غضبه ، وهو يتابع :

- هذا البطل ، الذى قفز أمام عينيك ، دون نرة واحدة
من التردد ، فى قلب منطقة أجنبية مجهولة ، تخشى
الطائرات نفسها مجرد الاقتراب منها ، هو أفضل رجل
أمن عرفته (مصر) ، خلال نصف قرن من الزمان ،
والرجل الوحيد الذى ارتجفت لذكر اسمه يوماً أجهزة
مخابرات أقوى دول العالم ، وأخطر منظمات
الجاسوسية ، والمنظمات الإجرامية العالمية .

اتسعت عينا المساعد ، وهو يقول فى اتبهار :

- إلى هذا الحد .

حلّ مسئول القفز حزام مقعده ، وتشبث بحاجز
معدنى ، ليجذب باب الطائرة ويغلقه ، قبل أن يجيب :

- وأكثر من هذا .

توقّف اندفاع الهواء العنيف ، مع إغلاق الباب ، وعاد
الضغط يتواعم داخل الطائرة ، فانتزع مسئول القفز
قناع الأكسجين عن وجهه ، وهو يكمل فى حزم :

- وما دام قد افتحم هذه المعركة ، فثق بأنه سيحدث
فارقاً ..

واتعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة وانقضاب :

- حتماً .

أما (أمجد) نفسه ، فقد وثب من الطائرة ، من
هذا الارتفاع الشاهق ، وهو يضع على وجهه قناع
الأكسجين ، وترك جسده ينزلق فى الهواء مستخدماً
كل خبراته ومهاراته القديمة ، وهو يدرس الأحرار
ببصره ، على ضوء الشمس ، التى شارفت المغيب ..

كانت تبدو مخيفة بحق ، من هذا الارتفاع ..

ولثوان بدت له أشبه بفكى مصاص دماء شرس ،
يستعد بأنبياه الحادة لاقتناصه ، فور سقوطه بينها ..

ولكن هذا لم يرهبه ..

ولم يفت في عضده ..

كانت السنوات الطوال ، التي قاتل فيها كضابط
صاعقة ، ثم كضابط عمليات خاصة ، في صفوف
المخابرات العامة ، قد نحتت قلبه من صخر صلب
صلد^(*) ، حتى إن الموت أو الخطر لم يعد لهما أدنى
تأثير في مشاعره أو قراراته ..

وعند الارتفاع المناسب ، جذب حبل المظلة ، التي
استجابت على الفور ، وانفتحت ، وبدأت عملية
الهبوط الهادئة ..

ومرة أخرى ، بدت له تلك الأحرش ، مع أضواء
الغروب ، رهيبية مخيفة ..

(*) الصلابة : هي قدرة المادة على كسر غيرها من المواد ، أما
الصلادة : فهي قدرة المادة على خدش غيرها من المواد الأخرى .

لقد كانت قمم أشجارها تتمايل على نحو عجيب ،
وكأنها تواجه رياحاً عاصفة ، في حين لم يكن يشعر
من حوله بأية رياح زائدة ..

وانعقد حاجباه في شدة ..

تلك الأحرش ليست طبيعية بالتأكيد ..

إنها تنتظره ..

شيء ما في أعماقه يكاد يكون واثقاً من هذا ..

شيء ما ، وغريزة قوية ، جعله يدرك أنه سيواجه
الخطر ، منذ اللحظة الأولى لهبوطه ، في قلب تلك
الأحرش ..

ولكن فجأة ، ودون مقدمات ، أترك (أمجد صبحي)
أن الخطر لن ينتظر هبوطه في قلب الأحرش الرهيبية ..

هذا لأن النيران قد اشتعلت بغتة في مظلمته ..

والتهمتتها في لحظة واحدة ..

وهكذا ، وجد (أمجد) نفسه يهوى نحو الأحرش
القاتلة ..

ومن ارتفاع نصف كيلومتر على الأقل ..
وأمام عينيه ، تباعدت قمم الأشجار ، وبدت أشبه
بفكين مخيفين ، يستعدان لالتهامه فور سقوطه ..
وبلا رحمة ..

* * *

ما رآه (نور) و(أكرم) ، فى قلب تلك الصحراء
الغامضة ، كان مدهشًا بحق ..
وكما يحدث ، منذ بدأت تلك المهمة ، كان يخالف
كل قواعد العقل والمنطق ..
فهنالك ، على بعد كيلومتر واحد تقريبًا ، وعلى ربوة
رملية مرتفعة ، كان يقف ذلك المعبد المزدوج شاهقًا ،
تحت ضوء الشمس ..
نعم .. كاتا يقفان وسط ظلام دامس ، ولكن أسطواناته
من الضوء كانت تحيط بالمعبد ، وتمتد إلى أعلى ،
على نحو يستحيل معه تحديد مصدرها ..



وفى ذهول ، تتم (أكرم) :

- كيف يمكن هذا ؟! كيف لا ينتشر الضوء ليبدد
هذا الظلام الدامس ؟! كيف ؟!

غمغم (نور) ، وهو يتطلع إلى ذلك المشهد الرهيب
فى توتر شديد :

- كل شيء هنا لا يتبع قواعد الفيزياء التى نعرفها
يا صديقى .

هز (أكرم) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى عصبية
ذاهلة :

- مستحيل ! مستحيل أن يخضع له الضوء ، أو أن
تخضع له قواعد الفيزياء ! مستحيل !

أجابه (نور) فى حزم :

- قواعد الدنيا لا تخضع إلا لله (سبحانه وتعالى)
وحده يا صديقى ، ولكن العلم يكشف كل يوم قواعد
جديدة ، قد تكسر ما كنا ننتصروه قاعدة فيزيائية ثابتة ..
الضوء الذى يهبط أمامك ، على شكل أسطوانة

محدودة ، لا تنتشر فيما حولها ، ربما كانت له قواعد
فيزيائية أيضا ، تماما مثل أشعة الليزر ، التى تتكثف
فيها طاقة الضوء ، فى شعاع واحد ، والتى كسرت
عند كشفها قاعدة فيزيائية قديمة ، كانت تتصور أن
الضوء يتشتت حتماً ..

عاد (أكرم) يهز رأسه ، قائلا فى عصبية أكثر :

- أنت تعلم أننى لا أجيد هذه الأمور المعقدة .

ربت (نور) على كتفه ، قائلا :

- لا عليك يا صديقى .. لا عليك .. سنطرح التفسير
العلمية جانباً مؤقتاً ، ونركز جهودنا كلها على بلوغ
ذلك المعبد ..

تطلع إليه (أكرم) فى دهشة ، قبل أن يسأله فى
توتر :

- وما الذى يمنعنا من بلوغه ؟!

هز (نور) رأسه ، وهو يتطلع إلى ذلك المعبد ،
قائلاً :

- لست أدرى يا (أكرم) .. لست أدرى يا صديقي ،
ولكننى واثق من أن بلوغه لن يكون بالأمر السهل ..
أبدأ .

لم يستوعب (أكرم) هذا المنطق ، فمطً شفّتيه ،
وأشار بيده إلى ذلك المعبد ، القابع وسط أسطوانات
الضوء المبهّر ، قائلاً :

- (نور) .. ذلك الشيء على بعد كيلومتر واحد منا
على الأكثر ، ومهما كانت صعوبة السير على هذه
الرمال ، فسنبلغه خلال ثلث الساعة على الأكثر^(*) .

مطً (نور) شفّتيه ، وتمتم :

- أتعثّم هذا يا صديقي .. أتعثّم هذا .

وعاد يربّت على كتفه ، مستطرذاً :

- هيا بنا .

(*) سرعة الإنسان العادي ، على الأرض الممهدة المنبسطة ، ستة
كيلومترات في الساعة .

بدأ سيرهما فوق الرمال ، فى اتجاه ذلك المعبد
المزدوج الرهيب ، و(نور) يشعر فى أعماقه بأن تلك
الرحلة المباشرة لن تكون سهلة أو آمنة ..

لن تكون كذلك أبداً ..

أما (أكرم) ، فقد كان يشعر بتوتر عنيف فى أعماقه ،
ويتساءل فى كل لحظة عما يلقى (نور) ..

وعما يمكن أن يحدث ..

ففى رأيه ، لم يكن الأمر يتجاوز ثلث الساعة ،
من السير على الرمال ..

ولكن ثلث الساعة مضى ..

وبعد ثلث ثان ..

وثالث ..

السير على الرمال أجهدهما ..

ولكن المعبد ظلّ على نفس المسافة منهما ..

وكأنهما لم يقطعا متراً واحداً ..

وفى عصبية غاضبة ، هتف (أكرم) :

- ما هذا بالضبط !؟

هزّ (نور) رأسه ، وقال فى توتر :

- خداع بصرى آخر يا صديقى .

هتف (أكرم) :

- أى خداع بصرى هذا !؟ إننا نسير منذ ساعة كاملة ، ولكننا لا نصل إلى أى شىء .. لقد سعدنا وهبطنا ألف مرتفع رملى ، ولكننا لم نقترّب من ذلك المعبد الحقيق شبراً واحداً .

تطلّع (نور) طويلاً إلى ذلك المعبد ، وأسطوانة الضوء التى تحيط به ، قبل أن يقول :

- ربما لأنه ليس هناك .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- ماذا تعنى بقولك هذا !؟

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى توتر :

- أعنى أننا نسير منذ ساعة خلف وهم .. سراب .. خداع بصرى .

ثم تلفتّ حوله ، مستطرداً :

- أنا واثق من أن ذلك المعبد هنا ، فى مكان آخر حولنا .. يختفى وسط الأحرّاش ، أو فى قلب الظلام . تلفتّ (أكرم) حوله بدوره ، وهو يقول فى عصبية :

- أين يا (نور) !؟ أين !؟ لست أراه فى أى مكان ، إلا إذا كان هنا ..

وضرب الرمال بقدمه ، مستطرداً :

- تحت هذه الرمال .

قبل حتى أن يكتمل قوله ، ومع ضربة قدمه ، تهاوت الرمال من تحته بغتة ..

وبشبهة دهشة مذعورة ، هوى جسده وسطها ..

أفلت (أكرم) أصابعه ، من حول معصم (نور) ،
وهو يهتف :

- اتركنى يا (نور) .. اتركنى قبل أن ينزلق جسدك ،
ونسقط معاً .

هتف (نور) فى حزم :

- لا .. لن أتخلى عنك أبداً .

صاح (أكرم) ، وهو يقاوم أصابع (نور) ،
الممسكة بمعصمه :

- افعلها يا صديقى .. افعلها .. اتخذ قراراً فقد .. لا نتقنا
معاً ، بسبب عاطفة سخيّة .. إتنا الأمل الأخير للباقيين
يا (نور) .. لا تنس هذا .

كان جسد (نور) ينزلق أكثر وأكثر على الرمال ،
ولكنه صرخ بكل الحزم والعزم والإصرار :
- محال .

لقد انهارت ، كاشفة فجوة سوداء عميقة ..

عميقة ..

بلا قرار ..

فجوة تهاوى جسده داخلها ، و ...

وفجأة ، قفزت يد (نور) تقبض على معصمه ..

وبحركة غريزية ، التفت أصابع (أكرم) حول
معصم (نور) أيضاً ..

وسقط (نور) على وجهه ، وبدت له تلك الفجوة
المظلمة الرهيبة ، التى تغوص وتغوص إلى مدى
البصر ، وانزلق جسده فى بطء على الرمال ، وهو
يبحث عبثاً عما يتشبث به بيسراه ، ويمنم تقبض
على معصم (أكرم) بقوة ، وهذا الأخير يهتف :

- لا .. لا فائدة !

هتف به (نور) وهو يتشبث بأخر أمل ، على
الرغم من انزلاق جسده أكثر وأكثر :

- لا تقل هذا ..

انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه بيسراه ، ورفع
فوهته نحو (نور) صائحاً بكل انفعاله :
- اتركنى وإلا ..

قبل أن يكتمل وعيده ، انهارت حافة الرمال فجأة
تحت (نور) فاختل توازن جسده ، و ...
وهوى ..

هوى مع (أكرم) فى تلك الفجوة العميقة ..
العميقة ..
بلا قرار ..

* * *

« (مشيرة) .. لا تستيقظى .. أرجوك .. »

هتفت (سلوى) بالجملة ، فى صوت أقرب إلى البكاء ،
ودموعها تغرق وجهها ، فى حين راحت (مشيرة)
تتململ فى رقدتها ، على نحو يوحى بأنها على وشك
استعادة وعيها ، فهتف الدكتور (حجازى) فى ارتياح :

- لا يمكن أن نتركها هكذا .. لو استعادت وعيها ،
وجسدها خارج الدائرة الفضية ، ستحترق كشعلة لهب ،
كما حدث لهذا المقاتل المسكين .

قال الدكتور (رمسيس) فى توتر بالغ :

- وماذا يمكننا أن نفعل !؟

صاح الدكتور (عبادة) فى انهيار :

- ليس هناك ما نفعه .. ليس لدينا ما يمكن أن نفعه ..
لقد انتهى أمرنا جميعاً .. انتهى تماماً .
صرخت فيه (نشوى) :

- اصمت أرجوك .. اصمت .. لم أعد أحتمل كلماتك ..
اصمت .

ارتفع صوت (رمزى) فوق صرختها ، وهو يصرخ
بدوره :

- اصمتوا جميعاً .

صرخته الهادرة جعلتهم يفلقون أفواههم ، ويلتفتون إليه بحركة واحدة ، فانعقد حاجباه ، وهو يتطلع إلى (مشيرة) ، قائلاً :

- الإيحاء .

سألته (سلوى) في خفوت حذر :

- ماذا تعنى !؟

أجابها في سرعة وحزم :

- (مشيرة) الآن في تلك المنطقة ، بين الغيوبة والوعى ، وفي تلك المنطقة يصبح عقلها مستيقظاً بدرجة تكفى لإدراك المؤثرات الخارجية ، ولكن ليس إلى درجة تفنيدها ، واتخاذ القرار المناسب بشأنها ، وهذا يعنى أنها ستطيع كل ما تسمعه فى آلية ، لو تم توجيهه إليها بالأسلوب المناسب .

غمغم الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- لم أفهم بعد .

قال (رمزى) فى صرامة :

- اصمتوا جميعاً إنن ، واحبسوا أنفاسكم لو اقتضى الأمر .

أطاعه الكل دون مناقشة ، فانعقد حاجباه بشدة ، وهو يتطلع إلى (مشيرة) مباشرة ، وبدا صوته عميقاً ، وكأتما يأتى من أغوار سحيقة ، وهو يقول :

- عودى إلى الدائرة الفضية يا (مشيرة) .. عودى واجلسى داخلها تماماً .

تململت (مشيرة) فى رقدتها ، وكأتما سمعت ما قاله ، فكرر بعق أكثر :

- عودى يا (مشيرة) .

تململت (مشيرة) أكثر ، وضمت ركبتيها إلى صدرها ، فى وضع جنينى ، وهى تتأوه فى خفوت ، فكرر (رمزى) :

- عودى إلى الدائرة يا (مشيرة) .

لثوان ، خُيِّل إليهم أنها لم تسمع حرفًا واحدًا مما
قاله (رمزى) ..

ثم فجأة ، زحفت بجسدها ، وضمت ساقيها ، لتصبح
كلها داخل الدائرة الفضية ..

وفى حركة آلية عجيبة ، اعتدلت جالسة ،
وغمغت :

- ماذا حدث !؟

كادت (سلوى) تهتف بعبارة ما ، ولكن (رمزى)
استوقفها بإشارة صارمة من يده ، قبل أن يقول ،
بنفس الصوت العميق :

- لقد انتهى الأمر .. افتحى عينيك .. لقد انتهى
الخطر .

فتحت (مشيرة) عينيها فى ببطء ، وحدقت فيما
حولها ، ثم أطلقت شهقة مكتومة ، وهى تهتف :

- رباہ ! هل ..

قاطعها (رمزى) فى سرعة :

- كل شيء على مايرام يا (مشيرة) .. لقد زال
الخطر .

حدقت فيه بدهشة ، ثم عادت تحدق فى الآخرين ،
قبل أن تهتف :

- أى خطر .. كل شيء ما زال على ما هو عليه .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- هذا أفضل ما يمكن أن نأمله .

لم تكذب عبارته تكتمل ، حتى تلاشى ضوء الشمس ،
الذى يتسلل عبر فتحات السقف ، وانسحب فى سرعة ،
ليحل محله ذلك الظلام المخيف ، فصرخ الدكتور
(عبادة) :

- ماذا سيحدث !؟ ماذا سيحدث !؟

مع آخر حروف صرخته دوت فرقة مكتومة فى
المكان ، واتبعثت أبخرة كثيفة من ذلك الوعاء
النحاسى الكبير ..

ثم فجأة ، ظهر ذلك الكاهن الرهيب ..

ظهر خلف الوعاء النحاسي ، مع ثلاثى الأبخرة ،
وهو يتطلع إلى الجميع بنظرة نارية شيطانية ،
وحشية ..

نظرة ارتجت لها قلوبهم ، وتجمدت لها الدماء فى
عروقهم ، واختنقت معها الكلمات ، وحتى الصرخات ،
فى حلوقهم ..

ولدقيقة كاملة ، ظل الكل صامتا مبهوتا ، وكلهم
يتطلعون إلى الكاهن ، الذى ظل ساكنا كتمثال من
الرخام ، وعينه تتألقان بذلك البريق المخيف ، قبل أن
يستدير فجأة بحركة حادة ، إلى الصندوق الزجاجي ،
الذى يحوى إصبع الشيطان ، ثم رفع ذراعيه إلى
أعلى بحركة مباغتة ..

ومع حركته ، شعر الكل فجأة بالآلام رهيبية فى
رعوسهم ..

آلام جعلتهم يطلقون صرخات قوية ، وهم يمسون
رعوسهم فى عنف ، و ...

وفجأة ، خفض الكاهن ذراعيه ..

وتلاشت الآلام كلها دفعة واحدة ..

ثم استدار الكاهن إليهم ، بنفس النظرة الرهيبية ..
المخيفة ..

الوحشية ..

وعاد إليهم ذلك الصمت الرهيب المهيب ..

وشعر (رمزى) بخيظ من الدم ، يسيل من أنفه ،
وشاهد رفاقه كلهم يعاتون الشيء نفسه ..

وقبل حتى أن يمسخ خيظ الدم ، اتحنى الكاهن يلتقط
تلك الجمجمة غير البشرية ..

واتسعت عينا الدكتور (عبادة) فى ارتياح ، وهو
يستعيد ذكرى خبرته السابقة مع تلك الجمجمة ..

واتعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، للسبب
نفسه ..

وبقعة ، انطلق من تلك الجمجمة شعاع قوى ، سطم
فى وجوه الكل ، كألف ألف مصباح من مصابيح
التصوير ..

ومع الضوء القوى ، أغلق الكل عيونهم بشدة ..
وعندما عادوا يفتحونها ، اتسعت عن آخرها فى
ذهول ..

فقد تلاشى المعبد كله من حولهم ..

تلاشى بجدراته ، ونقوشه ، ومذبحه ..

وأحاط بهم ظلام مخيف ..

ظلام بدا وكأنه العدم نفسه ..

إلا من بقعة واحدة ..

بقعة جعلت قلب (نشوى) يرتجف بين ضلوعها فى

عنف ، وجعل (سلوى) تطلق صرخة رعب قوية ، فى
حين اتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهى تصرخ :

- لا .. ليس (أكرم) .. ليس (أكرم) ..

ففى تلك البقعة المضيئة ، كان (نور) و(أكرم)
يواجهان أمراً رهيباً ..

رهيباً إلى أقصى حد .

* * *



٤ - خيوط العنكبوت ..

فجأة ، وجد (أمجد صبحي) نفسه يهوى من حائق ، نحو تلك الأحرش الرهيبة ، بعد أن احترقت مظلته دفعة واحدة دون مقدمات ..

كان موقفاً رهيباً بحق ، وخاصة مع غروب الشمس ، الذي يلقي ظلالاً مخيفة على كل شيء ، والذي يجعل تلك الأحرش تبدو وكأنها وحش مفترس ، يفتح فكيه عن آخرهما لالتهامه بلا رحمة ..

ولقد راح جسده يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ولكن نرة واحدة في جسد (أمجد) لم تشعر بالخوف أو الفزع ..

فيحركة سريعة ، جذب حبلاً رفيعاً في حزام حقيبة المظلة ، فانفصلت البقية الباقية من أحبال مظلته المحترقة ، وطارت بعيداً ، في حين جذب هو حبل المظلة الإضافية الأخرى(*) ..

وعلى الرغم من أن المظلة الاحتياطية قد استجابت بنجاح ، إلا أن المسافة التي تفصل جسده عن الأرض ، كانت أقل من أن تسمح لها بالعمل بكفاءة ، لذا فقد انخفضت سرعة هبوطه كثيراً ..

ولكن ليس بالدرجة الكافية ..

وبشيء من العنف ، ارتطم جسده بقمم الأشجار ، فطوى ركبتيه إلى صدره ، ورفع ذراعيه ليحمي وجهه ، وجسده يهوى مرتطمًا بالأغصان القوية ، والأفرع السمكية ، التي تحطمت مع ثقله ، وإن ساعدت في الوقت ذاته على تخفيف سرعة وعنف هبوطه ..

حتى ارتطم أخيراً بالأرض ..

(*) منذ أوائل الثمانينات ، وبعد تزايد حوادث الخلل في فتح مظلات الهبوط ، تقرر تصميم مظلتين في حقيبة القفز ، بدلاً من واحدة ، بحيث يتم حل المظلة التي تعرضت للخلل ، واستخدام الاحتياطية عند الخطر .

ولثوان ، ترك جسده ساكنًا ، على الأرضية الرطبة ،
التي تكسوها طبقة كثيفة من الأوراق الجافة ، وكل
ذرة في كيانه تصرخ بالألم ، قبل أن يغمغم :

- ياله من هبوط :

وكما لو أن عبارته قد انتزعت كل آلامه ، هبّ واقفًا
على قدميه في نشاط عجيب ، ثم تلفت حوله ، وهو يحلّ
حقيقية المظلة ، التي تمزقت بعنف مع الهبوط ،
وألقاها أرضًا متمتمًا :

- عجبًا ! أى ظلام دامس هذا ؟! هل يمكن أن تحجب
تلك الأشجار الضوء إلى هذا الحد ؟!

رفع رأسه إلى أعلى ، وبدا له ذلك الظلام الرهيب ،
الذي يبدو من بين قمم الأشجار غير طبيعي على الإطلاق ،
فالتقط نفسًا عميقًا ، وهو يشعل مصباحه اليدوي ،
مغمغمًا :

- آه .. يبدو أن للمواجهات الشيطانية قد بدأت بالفعل
يا (أمجد) .. فليكن .. إننى هنا بالفعل ، ولا ينبغي أن
أضيع لحظة واحدة .

أدار ضوء مصباحه اليدوي فيما حوله فى ببطء ،
ليستكشف ما يحيط به ، قبل أن يبدأ خطوته الأولى ..

كانت الأشجار الضخمة تحيط به من كل صوب ،
ولا تترك سوى ممر واحد فحسب للخروج ..

ولثوان ، فحس ذلك الممر ، على ضوء مصباحه
اليدوي ، قبل أن يتمتم :

- اتجاه إجبارى .. يبدو أن الأمور تسير هنا على
نحو لا يرهق المرء طويلًا فى الاختيار ..

« (أمجد) .. »

انبعث اسمه بقتة ، من بين الأشجار المحيطة به ،
فاستدار إلى مصدره بحركة حادة ، هاتفًا :

- من هنا ؟!

ضوء مصباحه لم يكشف أمامه سوى جذوع
الأشجار الضخمة وأغصانها الكثيفة ، ذات الأوراق
العريضة ..

« (أمجد) .. »

مرة أخرى ، سمع اسمه يتردد ، بذلك الصوت
الخافت الهادئ فاستدار ثانية إلى مصدره ..

ولم تكن هناك سوى الأشجار ، والأغصان ،
والأوراق ..

وفي صرامة ، لا تنقصها العصبية ، هتف (أمجد) :

- أي عبث شيطاني هذا ؟!

« إنه أنا ؟! »

جاء الصوت من خلفه هذه المرة ، فانتقد حاجباه
في شدة ، وهو يدور على عقبه ، ويلقى ضوء
مصباحه على الأشجار ، هاتفا بتوتر بالغ :

- مستحيل !

لقد ميز الصوت جيّداً هذه المرة ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل أن يكون صوته !!

٨٦

صوت (حامد) .. زميله السابق ، الذي قضى
نحبه يوماً ، في أثناء صراعهما العنيف مع منظمة
(المافيا) ..

مستحيل !

« هنا لا يوجد مستحيل يا صديقي !! »

انتفض جسد (أمجد) في عنف ، مع العبارة الواضحة
المميّزة هذه المرة ، والتي اتبعثت من بين الأشجار
المواجهة له تماماً ، والتي يسقط عليها ضوء
مصباحه اليدوي مباشرة ..

إنه صوته ..

لا يمكن أن يخطئه ..

صوت (حامد) ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

٨٧

هوى جسدا (نور) و(أكرم) داخل تلك الفجوة
الرهيبية ..

وهوى ..

وهوى ..

ثم فجأة ، ارتطم بذلك الشيء المرن اللزج ..
شيء التصق به جسداهما فى قوة ، وراحا بهتزان
فى تناغم مخيف ، جعل (أكرم) بهتف :

- ما هذا بالضبط !؟

بذل (نور) جهدا مستميتا ، فى محاولة يائسة
لتخليص ذراعه ، من ذلك الشيء ، وهو يقول :

- لست أدرى بالضبط .. إنها خيوط مرنة لزجة ،
تحوى مادة لاصقة قوية .

ثم انعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وهو يضيف :

- أخشى أن ..

« هل نسيت !؟ إنك تقف على أرض الأرواح الخالدة »

انعقد حاجباه فى شدة ، والصوت يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم انتفض جسده مرة أخرى ، عندما سقط ضوء
مصباحه على ذلك الجسد ، الذى شق طريقه بين
الأغصان والأوراق المتشابكة ، وتجاوزها فى هدوء
عجيب ..

الجسد الذى ما زالت جبهته تحمل ثقبا دمويا ، فى
منتصفها تماما ..

جسد (حامد) ..

زميل مهنته وصديقه ..

المسابق ..

* * *

قبل أن يتمّ عبارته ، راحت تلك الخيوط تهتزّ على
نحو منتظم ، فزاد انعقاد حاجبيه في توتر بلغ منتهاه ،
ورسم عقله صورة مخيفة لكائن رهيب ، يتجه نحوهما
مباشرة ، في حين هتف (أكرم) في عصبية :

- شيء ما يسير على تلك الخيوط يا (نور) ..
شيء يتجه نحونا ..

وسرت في جسده فشريرة باردة ، وهو يكمل :

- هذا يذكرني بفيلم قديم من أفلام الرعب ، و ...
وفجأة ، وقبل أن تكتمل عبارته ، أضىء كل ما يحيط
بهما بغتة ، بضوء خافت متراقص ، أشبه بضوء
النيران ..

وعلى ذلك الضوء الخافت ، رأيا الكثير ..

الكثير جداً ..

فمن حولهما ، وفوق ما بدا وكأنه العدم كان
رفاقهما يحيطون بهما ، وكل منهم يقف فوق دائرة
فضية متألقة ..

وعلى مسافة أمتار قليلة منهم ، كان يقف ذلك
الكاهن ، وهو يمسك بالجمجمة غير البشرية ، التي
تتألق عيناها على نحو عجيب ..

وخلفه مباشرة ، كان يستقر إصبع الشيطان ، داخل
صندوقه الزجاجي البدائي .. وكان أيضاً يتألق ..

وربما أكثر من أي شيء آخر ..

ولكن ما رأياه ، وجعل كل ذرة من كياتيهما ترتجف
بعنف ، لم يكن كل هذا ..

لقد كان ذلك الشيء الذي يسير على تلك الخيوط
اللزجة ، التي يلتصقان بها ، والذي يتجه نحوهما
مباشرة ..

العنكبوت ..

فتلك الخيوط للزجة كانت خيوط عنكبوت هائل الحجم ،
أشبه بسيارة كبيرة ، وهو يتجه نحوهما بأقدامه
للثمن ، وعيونه الست ، وشرائحه التي تدفعه لالتهام
فرائسه التهاماً ..



مشهد العنكبوت الضخم ، وهو يتجه في شرامة نحو (نور) ، و(أكرم) ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

- لا يا (نور) .. لا ..

وهتفت (مشيرة) في رعب :

- لماذا !؟ لماذا (أكرم) .. لماذا !؟

أما (نشوى) ، فقد صاحت في الكاهن :

- لماذا تعذبنا !؟ لماذا ترينا هذا !؟

وفي ارتياح ، تطلع الباقون إلى ذلك المشهد الرهيب ..

مشهد العنكبوت الضخم ، وهو يتجه في شرامة نحو
(نور) و(أكرم) ، والأخير يقول في عصبية :

- أهذا خداع بصرى أيضاً يا (نور) !؟

أجابه (نور) في توتر شديد :

- بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة للأسف .

هتف في حنق ، والعنكبوت الضخم يتجه نحوه

مباشرة :

- ولماذا هذا بالذات حقيقة .

اتسعت عيون الكل فى رعب ، وشهقت (مشيرة)
شهقة كادت تذهب روحها ، وهى تحدى معهم فى ذلك
العكبوت المخيف ، وهو يتوقف عند (أكرم) ، ويتطلع
إليه لحظة بعيونه الست ، قبل أن يرفع إبرته السامة
الضخمة ، ليهوى بها على جسده ..

وانهارت (مشيرة) ..

تماماً ..

* * *

سرى توتر عنيف فى جسد (أمجد) ، وهو يحدى فى
الجسد الواقف أمامه ، وقد التقى حاجباه فى شدة ..

إنه (حامد) ..

تماماً كما رآه أول مرة ، عندما لقي مصرعه ..

إنه لم ينس ذلك الثقب الدامى ، فى منتصف جبهته ..

لم ينسه أبداً ..

الثقب الذى من أجله ، شن حرباً شعواء على
منظمة (المافيا) كلها ..

حرباً بلارحمة أو هوادة ..

« هل نسيته يا (أمجد) !؟ »

نطق (حامد) العبارة بصوته ، الذى لم ينس (أمجد)
نبراته قط ، على الرغم من مرور كل هذه السنوات
الطوال ..

والتقى حاجبا (أمجد) أكثر ..

إنه رجل مخابرات سابق ، اعتاد التعامل مع
الحقائق ..

الحقائق وحدها ..

وما يراه أمامه لا يمكن أن يكون حقيقة ..

لقد مات (حامد) منذ ما يزيد على ربع قرن ..

والموتى لا يعودون إلى الحياة ، إلا فى يوم البعث ،
الذى لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) وحده ..

ما من قوة أخرى ، فى الكون كله ، يمكن أن تعيد
الموتى ..

مهما كانت ..

« هذه الأرض تختلف عن أية أرض أخرى .. »

ابتسم (حامد) ، وهو ينطق العبارة ، وكأنما قرأ أفكار (أمجد) ، الذى قال فى خشونة عصبية :

- كل الأرض لله (عز وجل) .

تابع (حامد) ، وكأنه لم يسمعه :

- هنا تحيا الأرواح إلى الأبد .

أجابه فى صرامة :

- هراء .

ابتسم (حامد) مرة أخرى ، وهو يقول :

- ألا تصدقتى يا (أمجد) !؟

هز (أمجد) رأسه فى حزم ، قائلاً :

- لا يمكننى هذا .

صمت (حامد) بضع لحظات ، قبل أن يقول بصوت هادئ :

- اقترب يا (أمجد) .

تطلع إليه (أمجد) فى حذر زائد ، فمد إليه يديه ، مكرراً :

- اقترب يا (أمجد) .. اقترب .

تحركت عينا (أمجد) فى سرعة ، وهما ترصدان كل ما حول (حامد) ، الذى كرر بصوت عميق :

- اقترب .. اقترب ..

لانت ملامح (أمجد) فجأة ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. لقد اشتقت إليك كثيراً يا صديقى .

قالها ، واتجه نحوه مباشرة ، حتى صار على قيد مترين فحسب منه ، و ...

وفجأة كثر ذلك الشيء عن أنياب حادة مخيفة ، وانطلقت من حلقه صرخة وحشية عجيبة ، تشبه حفيف ألف ورقة شجر ضخمة ..

ثم كانت تلك الانقضاضة ..

الانقباضة الناجحة ، التي قضت على الخصم
تماماً ..

وبضربة واحدة ..

* * *

فجأة ، تذكر (نور) أمراً مهماً ..

وفي هذه اللحظة الحرجة بالذات ، نستطيع أن نقول :
إنه ليس مهماً فحسب ، بل هو أمر يفصل بين الموت
والحياة ..

وبكل انفعاله ، صاح :

- مسدسك يا (أكرم) ..

في تلك اللحظة فحسب ، انتبه (أكرم) أيضاً إلى
الأمر ذاته ..

لقد انتزع مسدسه من حزامه ، عندما كان يحاول
منع (نور) من الإمساك به ..

ثم هويها معاً ..

٩٨

وطوال الوقت ، لم يفلت مسدسه قط ..

لذا فقد بقيت أصابعه ممسكة بمقبضه ..

حتى عندما ارتطما بخيوط العنكبوت ..

والتصقا بها ..

ومع صرخة (نور) ، انتبهت أصابعه إلى
ما تمسك به ..

وبرد فعل مدهش ، وعلى الرغم من استحالة تحريك
ذراعه ، أمال (أكرم) معصم يده الممسكة بالمسدس ،
على نحو بعث في ذراعه كلها آلاماً رهيبية ، وهو
يهتف :

- هيا .. ابتسم أيها الوغد .

ومع هتافه ، ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصات ..

أربع رصاصات متتالية ، نسفت ثلاث منها رأس
العنكبوت الضخم ، الذي ارتفعت ست من قوائمه

الثمان ، وجسمه يرتجف فى عنف ، قبل أن يسقط
جثة هامدة ، فوق خيوطه اللزجة ..

وبكل سعادة الدنيا ، صرخت (مشيرة) :

- لقد فعلتها .. فعلتها مرة أخرى يا (أكرم) ..

مع صرختها ، حدث أمر عجيب ..

عجيب للغاية ..

لقد ذاب جسد ذلك العنكبوت الضخم ، وتحول إلى
مادة هلامية حمراء ، لم تكد تسيل فوق خيوطه ، حتى
ذابت بدورها ، وتحولت إلى المادة نفسها ، ليتحرر
(نور) و(أكرم) دفعة واحدة ..

وفى توتر بالغ ، غمغم الدكتور (حجازى) :

- البلازما .

اتسعت عينا الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف :

- بلازما !؟ مستحيل !

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، والتى
اندفع فيها (أكرم) ، متصوراً أنه يستطيع تحرير زوجته
ورفاقه ، رفع الكاهن الرهيب تلك الجمجمة غير البشرية
مرة أخرى ، وسطع الضوء المبهرفى وجوه الجميع ..
ثم اختفى كل شيء دفعة واحدة ..

وفى لمحة بصر ، وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما
فى ظلام دامس ، فهتف الأخير فى غضب :

- لقد ذهبوا .. ذلك الكاهن الحقيق .. القذر .. الـ ..

قاطعته (نور) ، وهو يضىء مصباحه اليدوى ،
ليكشف ما حوله :

- لن يفيد هذا .

لوح (أكرم) بذراعيه ، صائحاً :

- لقد كانوا هنا ، منذ لحظة واحدة . . .

هز (نور) رأسه ، قائلاً فى حزم صارم :

- إنهم لم يكونوا هنا أبداً .

- أنحن في عالمنا يا (نور)؟! إننا نسبح تقريبا في الفراغ .. نحن ونلك السائل الأحمر الهلامي ، الذى كان عنكبوتًا مخيفًا منذ قليل .. كيف يمكن هذا!؟

أجابه (نور) فى حزم :

- هذا غير ممكن على الإطلاق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

- فى عالمنا .

هتف (أكرم) فى عصبية :

إن فنحن فى عالم آخر .

لم يجب (نور) سؤاله ، وهو يدير مصباحه اليدوى مرة أخرى فيما حوله ..

كان الفراغ يحيط بهما بالفعل ، فى كل اتجاه ..

حولهما ..

وأعلاهما ..

وحتى أسفلهما ..

تفجّر الغضب من كل خلية فى كيان (أكرم) ، وهو يهتف فى سخط :

- العنكبوت كان هنا ، وهم ليسوا هنا .. شلال النار وهم ، والأشجار الحية ليست وهما .. لقد سمعت كل هذا .. لم أعد أرى ما الوهم وما الحقيقة! ما الذى هنا ، وماذا ليس هنا؟! لم أعد أعرف حتى أين نحن!؟

صمت (نور) بضع لحظات ، وكأنا يفكر فى عبارة (أكرم) جيدًا ، قبل أن يقول فى بطء عجيب :

- سؤال جيد يا صديقى .. أين نحن!؟

سؤال (نور) أزال الكثير من غضب (أكرم) ، وحولته فى لحظة إلى حالة من الحيرة والتوتر ، وهو يتابع ضوء مصباح (نور) ، ثم يضيف إليه ضوء مصباحه ، الذى أداره فيما حوله ، قبل أن يهتف بكل الدهشة والتوتر :

وضوء مصباحيهما اليديين ، كان ينطلق إلى
أقصى مدى في كل اتجاه ..

بلا استثناء ..

وفي عصبية بالغة ، كرر (أكرم) :

- أتحن في عالم آخر يا (نور) !؟

مرة أخرى ، لم يجب (نور) ..

لقد غرق عقله في تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

تفكير التهاب معه مخه ، وهو يبحث عن تفسير
لما يحدث ..

أى تفسير ..

تفسير منطقي ..

أو حتى شيطاني ..

ولكن كل شيء كان يسير بلا قواعد ..

مجرد عبث ..

عبث شيطاني بمشاعرهم ، وعقولهم ..

وحتى بأجسادهم ..

ولكن لا ...

حتى العبث له قواعد ..

ربما تختلف عن قواعد العقل والمنطق ..

ولكنها قواعد ..

كل ما عليه هو أن ينفذ عن رأسه كل ما اعتاده
وألفه من قواعد العلم والعقل والمنطق ..

وأن يملأه بقواعد جديدة ..

قواعد تتفق مع كل ما مرّ بهم ، منذ بدأت هذه
العملية المخيفة ..

وفى خفوت ، بلغت عصبية مداها ، تعتم
(أكرم) :

- (نور) .. هل تسمعى !؟

اعتدل (نور) فجأة ، وهو يقول فى حزم :
- بالتأكيد .

سأله (أكرم) فى حيرة عصبية :

- بالتأكيد ماذا !؟

التقى حاجبا (نور) ، وهو يدير رأسه فيما حوله ،
هاتفاً :

- لا داعى لكل هذا .. نحن نعلم أننا هنا .

أدار (أكرم) ضوء مصباحه فى وجه (نور) وكأما
يتأكد من ملامحه ، قبل أن يسأله فى قلق :

- ماذا تقول يا (نور) !؟

تجاهله (نور) تمامًا ، وهو يهتف :

- إننا نعرف أين نحن ، وكل ما تفعله لاقيمة له .

هتف به (أكرم) مذعورًا :

- (نور) !؟ ماذا أصابك !؟

استدار إليه (نور) بحركة حادة ، وأمسك كتفيه
فى قوة ، وهو يهتف به فى حزم :

- إننى أعرف أين نحن يا (أكرم) .. أعرف أين
نحن .

حدق (أكرم) فى وجهه ، بكل دهشة الدنيا ، وهو
يقول فى حيرة شديدة :

- وأين نحن يا (نور) !؟

تألفت عينا (نور) ، وهو يهتف :

- فى المكان الذى نسعى إليه طوال الوقت يا (أكرم) .

وتألفت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقول فى انفعال
جارف :

- فى المعبد .

لم يكذب ينطقها ، حتى تلاشى الظلام من حولهما
بغثة ..

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ..

فما حدث كان مذهلاً ورهيباً ..

بلا حدود .

* * *



٥ - معبد الشر ..

فجأة ، جاءت تلك الانقضاضة القوية ..

ذلك المخلوق ، الذي تقمص هيئة (حامد) ، زميل
(أمجد) القديم الراحل ، منتزعا إياها من أعماق أعماق
عقل (أمجد) نفسه ، كثر عن أنياب حادة رهيبية ،
وجسده يستعيد منشأه النباتي ، وأطلق تلك الصرخة
القوية المخيفة ، و ...

وقبل أن يتحرك ، انقضض عليه (أمجد) كالفهد
انقضاضة قوية مباغتة ، وهو يستلّ خنجره ، وسلاحه
الوحيد ، من حزامه ، هاتفاً في لهجة عجيبة ، تجمع
بين الصرامة والسخرية :

- كان ينبغي أن تخفى أطرافك أيها الوغد .

وفي مرونة مدهشة ، لا تتناسب سنه قط ، تفلدى ضربة

قاتلة، من مخالب ذلك المخلوق، ثم هبط خلفه، وهوى
على ذلك الفرع الأخضر، الذى يمتد من ظهره بخنجره ..

وبضربة واحدة قوية، بتر (أمجد) ذلك الفرع
الأخضر ..

وهنا، أطلق ذلك المخلوق صرخة أخرى رهيبة ..
ثم سقط أرضاً ..

وكتعبان يحتضر، تراجعت بقايا ذلك الفرع الأخضر،
وسط الأشجار والأغصان المتشابكة، وهى تنزف سائلاً
أخضر، فى حين راح ذلك المخلوق يتلوّى، وهو
يتحوّل بسرعة إلى ما يشبه جذع شجرة قديماً متهاكاً ..

وما هى إلا لحظات، حتى همدت حركته تماماً، و...
ونبل ..

تماماً كورقة شجر، فى موسم الخريف ..

نبل، واصفرّ، وتهشم، وهو ينزف من ظهره نفس
السائل الأخضر اللزج ..

وفى حزم ونشاط، نهض (أمجد)، مغمغماً :

يا لها من بداية !

تطلّع إلى ذلك السائل الأخضر اللزج على نصل خنجره،
ثم التقط من جيبه قطعة من القماش، مسح بها السائل،
ثم أطفأ ضوء مصباحه اليدوى، قبل أن يتنهّد، قفلاً :

- كما توقّعت تماماً .. سائل فسפורى .

عاد يضىء مصباحه، ويتلفت حوله، مستطرداً :

- أنا أقف إنى وسط أحراش فسפורية، تتعامل معى
نباتاتها باعتبارى فريسة، لا بد أن تستخدم معها كل
وسائل التمويه والخداع لاكتناصها .

عاد يدير مصباحه اليدوى، نحو الممر الوحيد بين
الأشجار، قبل أن يضيف فى حزم وهو يتجه نحوه :

- كما قلت من قبل .. كل شىء هنا إجبارى .

وخاص وسط ذلك الممر، وهو يتوقّع لضربة القلعة ..

وفى أية لحظة ..

* * *

ثم هتف بغتة فى عصبية ، وهو يلوح بيده نحو الشاشة :

- ولكن كل شيء يدفعنى نحو الجانب المظلم .
اندفع عالم ثالث ، يقول :

- ليس إلى هذا الحد ياسيدى ؛ فى كل دقيقة تمضى ، تزداد معلوماتنا عن تلك المنطقة ، والكمبيوتر يقوم بتحليل تلك المعلومات أولاً فلوياً ، وقبيل منتصف الليل .. أى بعد خمس ساعات على الأكثر ، ستكون لدينا معلومات مناسبة ، ربما تكفى لمعرفة هويتها ، أو حتى استنباط طبيعتها .

زفر الدكتور (جلال) ، وهو يتمم :
خمس ساعات !؟

وهز رأسه فى يأس ، ثم تساعل فى خفوت :

- ألا توجد ولو معلومة واحدة جديدة !؟

هتف أحدهم ، وهو يضغط زرر الكمبيوتر فى سرعة :
- بالتأكيد .

تراجع الدكتور (جلال) فى مقعده ، أمام شاشة الرصد الكبيرة ، وسرى التوتر فى جسده كله ، وأحد العلماء يقول :
- مع هبوط السيد (أمجد) ، وبسط تلك الأحرار ، تضاعف الانبعاث الحيوى الصادر منها ، والشبيه بعمليات الهضم .

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هلستهضمه أيضاً ، كما فعلت مع الباقين !؟

قال عالم آخر فى حزم :

- ليس هناك دليل واحد على مصرعهم .

أجابه الدكتور (جلال) ، فى عصبية أكثر :

- وليس هناك دليل واحد ، على وجودهم على قيد الحياة .

غمغم العالم الأول :

- فلننظر إلى الجانب المشرق على الأقل .

تنهّد الدكتور (جلال) ، مغمغماً :

- إننى أحاول .

وراجع بسرعة ما ظهر على الشاشة ، قبل أن
يستطرد في انفعال :

- أشجار ونباتات تلك الأحرار أمكن قياسها بمقياس
الطيف (سبكتروسكوب) .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) ، واتسعت عيناه ،
وهو يهتف :

- مستحيل ! الخلايا الحية لا يمكن تحديدها بمقياس
الطيف التقليدي .

أجابته العالم في حماسة :

- مقياس الطيف الحديثة يمكنها هذا ، ولقد استخدمنا
أحدثها لرصد تلك الأحرار ، وجاءت النتائج مذهشة .

غادر الدكتور (جلال) مقعده ، واتجه إليه ، متسائلاً
في لهفة :

- وما هي !؟

أشار الرجل إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيباً في حماسة
أكثر :

- وفقاً لمقياس الطيف ، تتكوّن تلك الأحرار ..
أو الأجزاء الظاهرة منها على الأقل ، من مزيج من
الفسفور (*) والبلازما (**)..

هتف الدكتور (جلال) ذاهلاً :

- مستحيل ! معامل الأرض كلها لا تحوى هذه الكمية
الهائلة من (البلازما) ، كما أنه من المستحيل أن
يتواجد الفسفور هكذا في الطبيعة .

أضاف عالم آخر في حزم :

(*) الفسفور : عنصر يقع في الصف الخامس ، من الجدول الدوري ،
يتفاعل بعنف ، عند ملامسته للماء أو الأكسجين ، وعند تعريضه للهواء فإنه
ينفجر مشتعلاً على الفور ، لذا يجب الاحتفاظ به دوماً مغموراً في الماء
أو الزيت ، وهو عنصر نشط ، يتحد بسرعة مع العناصر الأخرى ،
ولا يوجد أبداً بحالة نقية في الطبيعة .

(***) البلازما : قديماً كان المصطلح يعنى بلازما الدم ، التي
تتكوّن في ٩٠٪ منها من الماء ، وأخيراً استخدم المصطلح (بلازما) ،
على نطاق واسع ، لتعنى منطقة من شحنة غازية ، تحتوى على أعداد
متساوية تقريباً ، من الأيونات الموجبة والإلكترونات ، ولقد أمكن
تخليقها ، بمفهومها الجديد ، على نحو صناعي في المعامل .

- وأى نبت في الوجود لا يمكنه أن يحيا، في تركيبة عجيبة كهذه .

قال العالم الأوّل في سرعة :

- تتحدّث عن النباتات الطبيعية المعروفة علمياً، لا عن تلك الأحرّاش ، التي اعتادت هضم البشر .

هتف الدكتور (جلال) :

- مهلاً .. ماتقولونه ربما يعطى مفهوماً جديداً، لهذا الانبعاث الحرارى الحيوى .. ألا يحتمل أنه ينشأ من احتراق منتظم للفسفور ، في قلب تلك الأحرّاش !؟

تبادل العلماء نظرة دهشة ، تحمل الكثير من الخجل ؛ لأنهم لم يتوصّلوا إلى هذا التفسير البسيط ، واندفع أحدهم يقول :

- هذا لو أنه هناك طريقة لتنظيم احتراقه .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشائسة ، وهو يقول في انفعال :

- ربما هو أحد نتائج تنفس تلك النباتات العجيبة .. أو حتى ناتج لإحدى عمليات التمثيل الضوئى (*) ، أو ما يشبهها هناك .

هتف عالم آخر بنفس الانفعال :

- احتمال كبير .

استدار إليهم الدكتور (جلال) هاتفاً :

- ألا يمكنكم إعادة دراسة الموقف ، على ضوء تلك المعطيات الجديدة !؟
أجابوه في حماسة :

- بكل تأكيد .

سأل في لهفة :

- وكم سيستغرق هذا في رأيكم !؟

(*) لتمثيل الضوئى : عملية شديدة لتعقيد ، تقوم فيها الأجزاء الخضراء من النباتات بتخليق الكربوهيدرات (مثل المواد السكرية) ، من ثلثى أكسيد الكربون والماء ، في وجود الكلوروفيل ، وبفعل ضوء الشمس .

أجابه كبيرهم فى سرعة وحزم :

- ثلاث ساعات .

سأله فى لهفة أكثر :

- ألا يمكن اختصارها إلى ساعتين !؟

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يقول كبيرهم فى حزم :

- سنبدل قصارى جهدنا ، ولكننا لانستطيع أن نعد بإتجاز الأمر فى أقل من ثلاث ساعات .

تمتم الدكتور (جلال) فى عصبية :

- ثلاث ساعات !؟

ثم انطلقت من أعماق صدره زفرة مريرة ، قبل أن يضيف :

- من يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، فى ظروف كهذه ، فى ثلاث ساعات !؟

نعم .. من يدرى !؟

من !؟

* * *

فى قلب المعبد تمامًا ..

هكذا وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما بقتة ، عندما تبدد الظلام والعدم من حولهما ..

كأنا يقفان عند ذلك المذبح الدموى ، والكاهن الرهيب أمامهما مباشرة ، يتطلع إليهما بعينيه الناريتين المخيفتين ، ويفصلهما عنه ذلك الوعاء النحاسى الضخم ، الذى تتصاعد منه الأبخرة ، وخلفه يستقر إصبع الشيطان المخيف ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى ..

وحولهما كان يقف الباقيون ..

يقفون ذاهلين ، مبهورين ، داخل تلك الدوائر الفضية القاتلة ..

وفى لحظة ظهورهما المباغثة ، شهق الكل ..

وبكل فرحة الدنيا ، هتفت (سلوى) و(نشوى) فى آن واحد :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .



كانا يقفان عند ذلك المذبح الدموي ، والكاهن الرهيب أمامهما مباشرة ،
 يتطلع إليهما بعينيه الناريتين ..

أما (مشيرة) ، فبكت في حرارة ، هاتفة :
 - (أكرم) ! أنت حي .. أنت حي يا (أكرم) .
 هم (أكرم) بالاندفاع نحوها ، ولكن (رمزي)
 صاح به في ارتياح :
 - إياك أن تقترب منها .
 سمّرت الصيحة (أكرم) في مكانه ، وجعلته يلتفت
 إليه ، هاتفاً في عصبية :
 - ولماذا !؟
 أجابه في سرعة وتوتر :
 - عبور تلك الدوائر الفضائية من أي اتجاه ، يعنى
 كارثة .
 ثم أشار إلى جثة المقاتل المحترق ، مستطرذاً :
 - انظرا بنفسيكما .

اتعقد حاجبا (نور) بشدة ، مع المشهد البشع ، فى
حين استلّ (أكرم) مسدسه بحركة غريزية ، واستدار
بصوبه إلى ذلك الكاهن الرهيب ، هاتفاً :

- أيها الوغد .

تألقت عينا الكاهن أكثر ، وحملتنا لمحة ساخرة
جعلت (أكرم) يضمّ شفّتيه فى غضب هادر ، و ...

« لاتضيع رصاصاتك هباءً يا صديقى ... »

قالها (نور) ، وهو يمسك معصم (أكرم) فى قوة ،
مستطرداً :

إنها لن تقتله .

ثم أشار إلى الباقيين مستطرداً :

- أضف إلى هذا أن رفاقنا فى قبضته .

« أنت أكثرهم ذكاءً إنن .. » ..

تبعث الصوت داخل عقل (نور) مباشرة ، فانتفض

جسده فى عنف ، واتعقد حاجباه فى شدة ، وهو
يحنّ فى ذلك الكاهن ، الذى تألقت عيناه أكثر وأكثر ..

« أنت قائدهم .. » ..

مرة أخرى غاص الصوت ، فى أعماق تلافيف
مخه ، فهتف :

- ألم تدرك هذا بعد !؟

تطلع إليه الكل فى دهشة ، وغمغم (أكرم) فى توتر
شديد :

- ماذا أصابك يا (نور) !؟

أشار إليه (نور) فى صرامة ليلزم الصمت ، فتمتمت
(سلوى) فى قلق بالغ :

- رياه ! ماذا ...

قاطعها (رمزى) فى خفوت ، يحمل الكثير من
الحزم :

- لا يتدخل أحدكم .

ثم أضاف ، وقد انتقل توثرهم إلى صوته :

- إنه اتصال عقلي على الأرجح .

« تتصور نفسك قادراً على هزيمتي .. أليس

كذلك !؟ »

تردد السؤال الساخر في عقله ، والكاهن

يتطلع إلى عينيه مباشرة ، فشد قامته في اعتداد ،

وقال :

- ولم لا !؟

أناه ذلك الصوت في عمق تلافيف مخه ، بإيقاع

أكثر سخرية :

- لأنه مهما بلغ نكاؤك ، ومهما بلغت عبقريتك ، فبتك

لن تتفوقى على ذكاء يحمل أكثر من مليون عام من

الخبرة .

مليون عام !؟

مليون عام !!!!!

مليون عام !!!!!!!

تردد الرقم في رأسه ، وعيناه تتسعان ذهولاً
واستكثاراً ..

هذا الرقم مستحيل !

حتمًا مستحيل !

لقد استنكر في البداية قول السكان المحليين ، بأن
هذا الكاهن يحيا منذ آلاف السنين !

فما بالك بالملايين !؟

« هل يدهشك هذا !؟ »

العبارة اخترقت عقله أكثر سخرية وعنفوانًا ، فالتقى
حاجباه بشدة أكثر ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

مهما يقال ، لن يمكنه تصديق هذا قط ..

مليون عام!؟

مستحيل!

وَألف مستحيل!

« تعال معي إذن .. »

جاء الصوت عميقاً رهيباً هذه المرة ..

ثم حدث ما حدث بفترة ..

ودفعة واحدة ..

انسحب عقل (نور) بفترة خارج المعبد ..

بل خارج المكان والزمان ..

انطلق عكسياً عبر العصور والأزمنة ..

مئات .. آلاف .. بل مئات الآلاف من السنين

والأعوام ..

مليون عام دفعة واحدة ..

بل ملايين السنين ..

الديناصورات تملأ الأرض (*) ..

البراكين تتفجّر في كل مكان ..

النيران ..

المستنقعات ..

رائحة الأوزون القوية (**)

ثم فجأة ، انسحب عقله إلى الأمام ..

إلى العصر الجليدي الكبير ..

البلايستوسين (***) ..

(*) الديناصورات : مجموعة من الزواحف هائلة الحجم ، كتبت تعيش في حقبة الحياة الوسطى ، فيما بين ٢٥٠ و ١٧٥ مليون سنة مضت ، كتبت بعضها من أكلة اللحوم ، التي تقترب غيرها من الديناصورات النباتية ، بينما كان البعض الآخر يعيش في الماء ..

(***) الأوزون : غاز عديم اللون غير ثابت ، له رائحة قوية ينتج من الأشعة فوق البنفسجية ، والبعثات النشاط الإشعاعي على الأكسجين ، وجزيهه يحتوى على ثلاث ذرات أكسجين ..

(****) البلايستوسين : آخر أزمنة للتاريخ الجيولوجي ، يمتد بعصر الجليد الكبير ، بعده ظهر الإنسان على الأرض ، وبدأ تطوره ، مع تشييبات المعروفة حالياً ..

الجليد يغمر كل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

التجمد ..

ثم البقاء في حالة كمون لسنوات طوال ..

سنوات أطول مما ينبغي ..

وقفزة أخرى إلى الأمام ..

مرحلة أشبه بالتحوصل ..

حوصلة تحيط به ..

ويكمن داخلها ..

حالة أشبه بالسبات العميق ..

أو بالبيات الشتوى ..

مرحلة استغرقت ملايين الأعوام ..

ثم جاءت اليقظة هنا ..

في قلب إفريقيا ..

منذ مليون عام ..

مليون عام !؟

فترة كافية لاكتساب خبرات هائلة ..

وقوى هائلة ..

وكافية لإنشاء عقيدة جديدة ..

(الفودو) ..

وانسحب العقل بعنف أكبر ..

وسرعة أكثر ..

الحياة تتطور بسرعة ..

والخبرات تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

والقوى أيضا ..

استعراض سريع مخيف ، لنباتات رهيبية تنمو ..

تتضخم ..

تلتهم الحيوانات ..

والبشر ..

وبلا رحمة ..

القبائل كلها تتحنى صاغرة ..

الخوف يملأ النفوس ..

والقلوب ..

الزعماء ينحنون ..

و ...

فجأة ، عاد عقل (نور) إلى رأسه ..

وبمنتهى العنف ..

ارتدّ إليه كما لو كان لكمة قوية ، فارتجّ جسده في
عنف ، وتراجع كمن أصابته صاعقة ، وسقط على
ظهره وسط المكان ، على نحو جعل (أكرم) يصوب
مسدسه مرة أخرى إلى الكاهن الرهيب ، هاتفا :

- ماذا فعلت به أيها الـ ...

قاطعته (نور) في ضعف ، مكرراً عبارته القديمة :

- انخر رصاصاتك يا صديقي ..

صاح (أكرم) في غضب ، وهو يلوح بمسدسه صوب
الكاهن :

- ولماذا؟! ألمجرد أنه يحتجز رفاقنا .

تألقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، واتحنى يلتقط الجمجمة
غير البشرية ، و ...

« إياك أن تفعلها .. »

صرخ (أكرم) بالكلمة ، وهو يضغط زناد
مسدسه ..

واتطلقت رصاصته ..

انطلقت في نفس اللحظة ، التي سطع فيها ذلك
الوميض ..

وبمنتهى الشدة ..

أغلق عينيه كالآخرين ، وهو يهتف في غضب :

- (أكرم) .. أخيرًا يا (أكرم) .. حمدًا لله .. حمدًا لله ..

أما (سلوى) و(نشوى) و(رمزى)، فقد أسرعوا إلى (نور)، والأولى تسألته في ارتياح:

- (نور) .. أنت بخير؟! أنت بخير يا (نور)؟!!

أوما برأسه إيجابًا، وهو يتمتم، مغلَقًا عينيه:

- كل ما أحتاج إليه هو قليل من الاسترخاء والراحة.

سألته (نشوى) في لوعة، ودموعها تُغرق وجهها:

- بمَ تشعر يا أبى.

صمت بضع لحظات، قبل أن يبتسم ابتسامة باهتة شاحبة، متمتمًا:

- وكان مخى يحترق.

سألته (رمزى)، في اهتمام قلق:

- ماذا سيفعل بنا هذه المرة.

راوده شعور عجيب بأنه يغوص في مادة لينة، شبيهة بالإسفننج ..

أو أكثر ليونة ..

ثم انتهى هذا الشعور بغتة ..

وعندما فتح عينيه، كانوا جميعًا في موقف جديد ..

(نور) مازال راقفًا على الأرض، في ضعف واضح ..

الباقون تحرروا من تلك الدوائر الفضية، دون مبرر منطقي ..

المعبد مازال كما هو، بمذبحة الدموى، والوعاء النحاسى، والجدران بنقوشها ..

ولكن الكاهن وإصبع الشيطان لم يعد لهما أثر ..

وفى لهفة اندفعت (مشيرة) تلقى نفسها بين ذراعى

زوجها، هاتفة:

- كان اتصالاً عقلياً .. أليس كذلك !؟

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب في استرخاء :

- كان تحدياً عقلياً .

زفر الدكتور (حجازى) ، وكأنما يزيح عن كاهله عبئاً ثقيلاً ، وقال :

- اتركوه يسترخى قليلاً ، وسيعود كما كان .

اتحنى (أكرم) يربّت على كتف (نور) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- استرخ يا صديقى .. بعد كل ما واجهناه ، أنت تستحق هذا .

سألته (مشيرة) فى لهفة :

- وما الذى واجهتماه !؟

أجابها ، وهو ينهض فى اقتضاب :

- أهوالاً ..

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا الجواب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع مبتسماً فى توتر :

- لو رويتها أنا لنفسى ، لما صدقتها .

قالت (مشيرة) فى حسم :

- ولكنك سترويه لى ، وبكل التفاصيل .

حدق (أكرم) فى وجهها بدهشة ، قبل أن يقول فى عصبية :

- ماذا دهاك !؟ حتى فى ظروف كهذه ، تمنعني خلف خبر جديد .

هتفت فى حدة :

- إنها مهنتى .

أجابها الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- أتبحثين عن خبر جديد !؟ خذى هذا الخبر إذن .

واحتدّ صوته ، وهو يضيف :
وهنا قال الدكتور (رمسيس) فى عصبية بالغة ،
وهو يتحصّن الجدران :

- لو أردتم خبرًا أكثر أهمية وخطورة ، فاستمعوا
لى أنا .

استدارت العيون كلها إليه ، فدار حول نفسه
لمواجهتها ، وشدّ قامته ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ،
ويقول فى حزم ، لم يفقد عصبية بعد .

- هذا المعبد ليس ، ولم يكن قط فرعونياً ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

مفاجأة تقلب مفاهيم الأمور كلها رأسًا على عقب ..
وبعنف .



لا توجد هنا أية أبواب أو نوافذ .

سألته فى دهشة حذرة :

- ماذا تعنى !؟

لوح بذراعيه ، وهو يقول فى حدة ثائرة :

- أعنى أنه ليس هناك سبيل واحد للخروج من هنا .

هتفت (سلوى) فى ذعر :

مستحيل ! كيف دخلنا إذن !؟

قال الدكتور (حجازى) فى توتر :

- تذكرى أن أحدًا منا لم يدخل إلى هنا قط بأسلوب

طبيعى .

تمتمت (نشوى) مبهوتة :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

٦ - التحدي ..

في اتبهار حقيقي ، وقف (أمجد) يتطلع إلى شلال النار المنهمر ، قبل أن يتمم في خفوت :

- مستحيل ! مشهد لا يمكن أن يراه المرء في حياته مرتين .

أدار عينيه فيما حوله مرتين ، ليتأكد من أنه لا يوجد مسار آخر ، بخلاف ذلك الذي اتخذه ، قبل أن يلتقط نفساً عميقاً ، ويتطلع مرة أخرى إلى شلال النار ، قائلاً :

- لا يوجد سبيل آخر .. ولكن هذا الطريق مغلق بجدار الذهب المنهمر هذا ، فكيف يتفق هذا وذاك !؟

استرجع في ذهنه كل ما مرَّ به من آثار ، تؤكد أن (نور) وفريقه اتخذوا كلهم ، أو بعضهم على الأقل ، المسار نفسه ..

ومثله لا يحتاج إلى رؤية دلالة قوية ..

فقط غصن مكسور ، أو أوراق شجر مهشمة ، أو حتى قطرة دم ..

أي شيء كان يكفي خبيراً مثله ؛ ليحدّد طريقه جيّداً ..

أي شيء ..

وفي موقفه هذا ، أمام شلال النار ، كان عليه أن يستنفر كل طاقته ..

وخبرته ..

وثقته ..

وفي هدوء حازم ، راح يفحص كل ما حوله بعين فاحصة ..

مدقّقة ..

خبيرة ..

وخلال عشر دقائق فحسب ، كان عقله قد رسم صورة استباقية للموقف كله ، وهو يحدث نفسه ، مغمغماً :

- اثنان .. تراجعاً .. ثم قفزا .. أحدهما سبق الآخر ..
اعتدل يلتقط نفساً عميقاً ، وهو يغمغم :
- عجباً !

كانت الأثار التي رصدها في المنطقة ، توحى بأن
رجلين قد وثبا عبر شلال النار الرهيب هذا ..
ومن الناحية المنطقية ، بداله هذا مستحيلاً ..
للغاية !

ومرة أخرى ، راح يتطلع إلى شلال النار في حيرة ..
إنه واثق تماماً من خبرته في قراءة الأثر ..
وفى إدراك مضمونه ..

ولكن هذا المضمون يبدو مستحيلاً ، أمام جدار
الذهب هذا ..

إلا إذا ..

اتعتقد حاجباه في شدة ، وهو يستعيد عبارة شهيرة

للروائي المعروف (أرثر كونان دويل) (*) ، جاءت على
لسان شخصيته البوليسية الأشهر (شيرلوك هولمز) ..
إذا ما استبعدنا المستحيلات ، فإن ما يتبقى أمامنا
هو الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها ..

وهو هنا أمام موقف مستحيل !

ما من مخلوق واحد ، في الكون كله ، يمكن أن
يقفز بإرادته في قلب النار ..

عاقلاً كان أم مجنوناً ..

فالله (سبحانه وتعالى) ، غرس في نفس كل مخلوق
حي مهابة النار ..

حتى الشياطين أنفسهم ..

(*) سير (أرثر كونان دويل) (١٨٥٩ - ١٩٣٠ م) : روائي إنجليزي ،
ابتدع شخصية (شيرلوك هولمز) ، أشهر شخصية أدبية بوليسية عرفها
التاريخ ، كان طبيباً ، ثم تفرغ فترة للأدب ، قبل أن يعود مرة أخرى
لمزاولة الطب .. فالت شهرة شخصيته الأدبية شهرته ، فتوقف فترة عن
مكتبتها ، ثم لم يلبث أن رضخ لضغوط القراء ، وعاد إليها مرة أخرى .

ولكن كل الآثار هنا تؤكد أن رجلين قد قفزا عبر
النيران ..

والبعثة لاتضم معتموها واحداً ..
الأمر يكمن إذن في النار نفسها ..
النار ..

تطّلع طويلاً مرة أخرى إلى شلال النار ، ولتقط نفساً
عميقاً من الهواء الساخن ، الذى يؤكد أن ما يراه
حقيقة ، وعقله يكاد يلتهب من التفكير العميق ..
وبعينيّه ، راح يدرس الأمر كله مرة أخرى ..
النار التى تنهمر من أعلى إلى أسفل ، بخلاف كل
قواتين الطبيعة ..

الوهج المترافص المنتظم ..
آثار الأقدام على الأوراق الجافة ..
ثم عاد حاجباه ينعقدان بمنتهى الشدة ..
فقد كان عليه اتخاذ قرار خطير ..
خطير إلى أقصى حد ..

ولكن طبيعته الحاسمة أنهت ذلك الصراع فى
أعماقه بسرعة مذهشة ..

وبكل الحزم والحسم ، تراجع (أمجد) ، وعيناه
لاتفارقان شلال النار ، و ...

وفجأة ، شعر بتلك الحركة خلفه ..

وبسرعة مذهشة ، استدار إلى مصدر الصوت ،
وهو يستلّ خنجره ..

ثم تجمّد فى وقفته هذه ، وهو يدير عينيه فى دستين
من الرماح البدائية ، اتجهت كلها نحو صدره ، مع
ضعفها من السهام ، التى يصوبها إليه مقاتلون من
الزواج البدائيين ، طلوا وجوههم بطلاء مميز ..
طلاء الحرب ..

ولأن الشجاعة لاتعنى حماقة ، فقد ألقى (أمجد)
خنجره أرضاً ، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه ، قائلاً
بلهجة ساخرة ، بدت عجيبه فى موقفه هذا :
- راع .. كنت أتصور أنه لا يوجد بشر عاديون هنا .

ولم يتسم مخلوق واحدة لدعابته ..

فقد كانت العيون كلها تحمل نظرة واحدة ..

نظرة مقاتلين خرجوا لهدف واحد ..

الموت ..

* * *

المفاجأة التي فجرها قول الدكتور (رمسيس) ،
جعلت (نور) يعطل في رفقته ، وهو يقول في دهشة :

- ليس معبدًا فرعونياً؟! ولكن البعثة السابقة ..

قاطعها الدكتور (رمسيس) في انفعال :

- البعثة السابقة لم تكن تضم عالم آثار واحدًا ،
لذا فقد خدعهم هذا الزيف هنا ، كما خدع الكل ،
ونجح في خداعكم أيضًا ..

ثم غلبته الحماسة المهنية ، وهو يشير بيديه إلى
الجدران ، متابعًا :

- ما ترونه حولكم هو مجرد تقليد لمعبد فرعونى ..
وليس حتى تقليدًا متقنًا .. بل ولا يمكن أن ينتمى إلى
عهد أسرة بعينها ، من الأسر الفرعونية المعروفة ،
فنقوشه هي مزيج من النقوش المستخدمة في كل عهد ،
وحتى الرسوم ، تبدو وكأنها خليط من كل أساليب
الرسم ، التي تغيرت وتطورت ، من عصر فرعونى إلى
آخر .. والأدهى من هذا أن كل ما ترونه على الجدران
لا يعنى شيئاً ، ومزجه بتعاويذ سحرة (الفوو) مجرد
شكل وهمى ، مقصود به إبهار غير المتخصصين فحسب .
اتعقد حاجبا (نور) ، وهو يدير عينيه فيما حوله ،
مغمغماً :

- إذن فكل هذا مجرد خداع .

مطّ الدكتور (رمسيس) شفّتيه ، وضغط الجدران
بأصابعه ، قائلاً :

- خداع يفوق كل ما يمكنكم تصوّره ، فهذه الجدران
ليست حجرية .

هتف الكل بدهشة عارمة :

- ليست ماذا ؟!

اندفعوا يتحصّسون الجدران بدورهم ، وهتف (أكرم) في عصبية :

- هذا صحيح .. إنها مادة أشبه بالبلاستيك .

وقالت (سلوى) في حذر :

- ألياف زجاجية على الأرجح .

قال الدكتور (حجازى) :

- كلاً .. إنها باردة للغاية .

اندفع الدكتور (عبادة) ، يقول في عصبية :

- ولكنها ليست بلاترما هي الأخرى .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، قائلاً في حدة :

- ولم لا ؟!

هتف في حدة مماثلة :

- لأن أحداً لا يمكنه إنتاج كل هذه الكمية الهائلة من البلازما ، ولو حتى في مليون عام .

كاد النقاش يحتدم بين الكل ، حول ماهية جدران المعبد ، لولا أن هتف (نور) فجأة في صرامة :

- كفى .

هتافه أخرج كل الألسنة دفعة واحدة ، وجعل الكل يلتفت إليه في تساؤل قلق متوتر ، فقال وقد امتزجت صرامته بحزم شديد :

- كل ما يحيط بنا عجيب ، ويتنافى مع كل ما عرفناه في حياتنا .. دعونا نعتبر هذا حقيقة واقعة ، في وقتنا الحالى ، وألا نضيع الوقت أو الجهد فى مناقشته ، أو الجدل بشأنه ؛ لأن هذا لن يفيد سوى خصمنا وحده .

والتقط نفساً عميقاً ، ليضيف فى حزم أكثر :

- فلنستغل أن غرور خصمنا قد دفعه إلى جمعنا معاً ، ليكمل كل منا ما لدى الآخر من معلومات ، حتى تكتمل الصورة إلى حد ما معنا جميعاً .

قال الدكتور (حجازي) :

- أنت على حق يا (نور) .. وأظنك و(أكرم) أكثر حاجة لمعلوماتنا منا إلى معلوماتكما ؛ فقد قضينا هنا وقتاً أطول .

قال الدكتور (عبادة) في عصبية :

- وما الذي عرفناه ، مع طول وجودنا هنا أيها العبقري .

أجابه (نور) في حزم :

- أية معلومة يمكن أن تصنع فارقاً كبيراً ، في ظروفنا هذه يا دكتور (عبادة) .

بدا الرجل منهراً ، وهو يقول :

- في رأيي أنه حتى كل معلومات الدنيا ، لن تصنع فارقاً صغيراً .. لقد انتهى أمرنا تماماً .. ذلك الشيطان يعبث بنا فحسب ، قبل أن يسحقنا سحقاً ، تماماً مثلما يعبث القط بالفأر ، قبل أن يلتهمه .

تطلع إليه (نور) في صمت بضع لحظات ، ثم التفت إلى رفاقه ، قائلاً :

- حسن .. أريد أن أسمع ما لديكم .. وبكل التفاصيل ..

وفي نفس القاعة ، التي يقفون فيها ..

وفي نقطة مظلمة ، لا يمكن أن تبصرها عيونهم الواعية ، كان الكيان الشيطاني كله يستمع ، ويشعر في أعماقه بسخرية متفوقة ..

يشعر أنه الأكثر ذكاءً ، وقوة ، وخبرة ..

وأنه المنتصر في النهاية ..

حتمًا ..

* * *

بدا الغضب واضحاً ، على وجه رئيس تلك الدولة الإفريقية ، وهو يقف في منتصف حجرة مكتبه الرئيسية ، مع مدير مخابراته ، معقود الحاجبين ، وكفاه خلف ظهره ، وعيناه تستقبلان وزير خارجيته في صرامة ، شفاً عنها صوته ، وهو يقول :

- ما هذه الأخبار التي وصلتني عنك أيها الوزير !؟
شعر وزير الخارجية بقلق عارم ، وهو يلقي نظرة على
مدير المخابرات ، قبل أن يسأل رئيس الجمهورية
في توتر :

- أية أخبار يا سيادة الرئيس !؟

حمل صوت الرئيس كل غضب الدنيا ، وهو يقول :
- اتصالاتك السرية بذلك الكاهن المخيف ، في منطقة
(فو - كا) .

ارتجفت شفتا وزير الخارجية ، وألقى نظرة نعمة
على مدير المخابرات ، قائلاً في توتر عنيف :
- سيادة الرئيس .. أمور الدولة تحتم أحياناً ..
قاطعه الرئيس ، مكملاً في غضب :
- التحالف مع الشيطان .. أليس كذلك !؟
قال الوزير في عصبية :

- بلى .. لست أول من يفعل هذا .. كل وزراء
الخارجية السابقين ، كانت لهم اتصالات معه ..

قال الرئيس في غضب :

- وهل أخفوا كلهم أمر تلك الاتصالات على رؤساء
جمهوريتهم !؟

قال الوزير في حدة :

- هذا أمر تحتمه الظروف .

صاح الرئيس في وجهه :

- بل هو خيانة للنظام كله .

انفض الوزير ، وقال في عصبية :

- سيادة الرئيس .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل .. من
قبل أن نولد .. ومن قبل أن يولد أجداننا .. ولجداد أجداننا ،
والوسيلة الوحيدة لتأمين شروره ، ومنعه من مد نفوذه
وسيطرته إلى قلب الدولة ، هي التحالف معه .

تدخل مدير المخابرات عند هذه النقطة ، قائلاً :

- هراء .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل كما تقول ،
ولكن لم يحدث قط أن تجاوز نطاق نفوذه ، حتى في

عهد النظم السابقة ، التي لم تجر أية اتصالات معه ،
ولكن ما حدث فعلياً هو أنك قد تطوّعت بنقل بعض
أسرار الدولة إليه .

صاح الوزير في عصبية بالغة :

- أسرار الدولة؟! عن أية أسرار تتحدّث يارجل ..
ذلك الكاهن يعرف كل شيء .. كل الأسرار .

قال مدير المخابرات في صرامة :

- لماذا ذهبت لتتقل إليه أسرار الدولة إذن ، مادام
يعرفها كلها؟!

لوح الوزير بذراعه في حدة ، قائلاً :

- تمامًا كما تبلغ دولة صديقة بشئونك ، التي تعلمها
جيداً .

قال الرئيس في صرامة غاضبة :

- الخيانة هي الخيانة .

اتسعت عينا وزير الخارجية بدهشة مستنكرة ، قبل
أن يهتف في حدة :

- خيانة؟! عن أية خيانة تتحدّثان؟! لقد كنت أحاول
حماية الدولة والنظام .. إنكما لاتعلمان شيئاً عن
أصول التعاملات الدولية ، أو التفاوض مع الدول .

قال الرئيس في غضب :

- ربما كانت لذلك الكاهن منطقة نفوذه ، ولكنها
ما زالت داخل حدودنا ، ولن نتعامل معه قط باعتباره
دولة داخل دولة .

صرخ وزير الخارجية في ثورة :

- إنكما لاتفهمان شيئاً!! ذلك الكاهن قادر على
سحقنا جميعاً ، إذا ما أراد هذا .

ارتجف صوت الرئيس ، من فرط الغضب ، وهو
يقول :

- أي شيء في الدنيا لن يبرّر خيانتك .

صرخ وزير الخارجية مرة أخرى :

- إنها ليست خيانة !

ثم لَوْحٌ بسببته في وجهيهما مستطردًا في حدة :

- ثم إنني لست الوحيد الذي يتصل به .

أشاح رئيس الجمهورية بوجهه في حلق ، في حين
تطلّع مدير المخابرات إلى عين وزير الخارجية
مباشرة ، وهو يقول في صرامة :

- رئيس الوزراء تم اعتقاله منذ ربع الساعة فقط ،
ووزير الداخلية تم اعتقاله في أثناء انتظارك مقابلة
السيد الرئيس .. الكل تم اعتقالهم بنفس التهمة .

عاد الرئيس يلتفت إليه ، مضيقاً في صرامة غاضبة :

- أنت الأخير .

انفتح وجه وزير الخارجية ، عندما اندفع اثنان من
رجال الحرس الجمهوري ، إلى حجرة مكتب الرئيس ،
وأحاطا به بسلاحيهما في صرامة متحفزة ، فنقل
بصره بينهما ، عن يمينه ويساره ، قبل أن يتطلّع
إلى مدير المخابرات ، قائلاً في غضب هادر :

- إنهم المصريون .. أليس كذلك !؟

لم يجب مدير المخابرات ، فاشتعل الغضب في وجه
الوزير وصوته ، وهو يقول :

- ستندمان على هذا .. ستندمان أشد الندم .. الكاهن
سوف يسحقكما سحقاً .. وبلا رحمة .

أشار الرئيس بيده في صرامة ، هاتفاً :

- خذاه .

دفع الجنديان وزير الخارجية أمامهما في خشونة ،
وما إن أصبح الثلاثة خارجاً ، حتى قال الرئيس في
غضب هادر :

- ليت البرلمان يعيد عقوبة الشنق ؛ ليدفع الخونة
جزاء فعلتهم .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال في توتر :

- من يدري من سينال جزاء فعلته .

استدار إليه الرئيس بحركة حادة ، ثم مال نحوه ،
يسأله في عصبية :

- هل بدأت تؤمن بما يقولونه ، عن قدرات ذلك

الكاهن !؟

أجابته الرجل في سرعة :

- ومن أنكّر قدراته !؟

تراجع الرئيس بحركة حادة كالمصعوق ، فزفر مدير المخابرات في توتر ، قبل أن يتابع في حذر :

- ولكن البعثة المصرية تضم رجل المخابرات العلمية المصرى الأشهر (نور الدين) .. بطل حرب التحرير^(*).

ثم انعقد حاجباه ، وهو يتابع :

- وكما ترى .. تلك الأحرار ، ومنطقة (فو - كا) كلها ، تمرّ بظروف غير عادية ، لم تمرّ بها من قبل ، حتى عندما افتحمتها تلك البعثة المصرية الأولى ، وهذا يعنى أن ما يحدث الآن ، لم يحدث من قبل قط ..

والتقط نفساً عميقاً ، ثم استطرد في حزم :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦ .

- ولست أكذبك القول ، أو أبالغ في تقدير الموقف ،

عندما أقول إن شعبنا كله يتصور أن اقتحام بطل التحرير الأشهر لتلك الأحرار ، ومواجهته المباشرة لذلك الكاهن ، قد يكون فيها حسم للكثير والكثير من المواقف ..

بل لقد صار هذا هو أملهم الأخير ، فى التخلص من ذلك الرعب ، الذى تتوارثه الأجيال هنا ، مع وجود ذلك الشيطان منذ آلاف السنين .

سأله الرئيس فى خفوت ، يحمل الكثير من القلق والتوتر :

- هم يتصورون هذا ، ولكن ماذا عن التصور الرسمى ، باعتبارك مدير إدارة المخابرات !؟

مطّ الرجل شفثيه ، وصمت لحظة ، قبل أن يجيب :

- إننا نعتمد على كفاءة وخبرة المصريين .

ولم يسأله الرئيس سؤالاً آخر ، ولكن شيئاً ما فى أعماقه ارتجف فى عنف ..

شيئاً تساعل : هل يمكن أن ينحسم الأمر بالفعل ،
بعد آلاف السنين !!

هل ؟!

* * *

ران صمت مهيب ، داخل ذلك المعبد ، في قلب
أحراش (إفريقيا) ، وبعد أن انتهى كل شخص من
رواية مألديه ، والتقى حاجبا (نور) في تفكير عميق ،
وعقله يقلب كل ما سمعه على كل الوجوه ، ويرتبته ،
وينمّقه ، ويضيف إليه تجربته الشخصية ، وإحساسه ،
وكل ما سمعه ، أو رآه ، أو استقبله عقله ..

وأمام أحد جدران المعبد ، المصنوعة من مادة عجز
الكل عن تحديد هويتها ، وقف يتطلع إلى النقوش ،
التي كشف الدكتور (رمسيس) أمرها ، فقال الدكتور
(عبادة) في عصبية ، قاطعاً ذلك الصمت :

- ماذا أصابكم ؟!

هتف به الدكتور (حجازي) في خفوت صارم :

١٥٨

- اصمت يا رجل .. (نور) يفكر .

هتف الدكتور (عبادة) ، في عصبية أكثر :

- يفكر ؟! أهذا كل ما سيفعله ؟!

أمسك (رمزي) معصمه بغتة ، وهو يقول في
صرامة شديدة :

- نعم .. هذا كل ما سيفعله ، ولكن تفكيره هذا هو
الذي ينقذنا من كل خطر نواجهه ، بعد رعاية الله
(سبحانه وتعالى) .

أضاف الدكتور (حجازي) بنفس الصرامة للخافطة :

- وتفكيره هذا موهبة خارقة ، ونعمة من الله
(سبحانه وتعالى) تفوق كل ما حصلت عليه أنت من
دراسات ، وشهادات ، وخبرات .

أطلق الاستنكار من عينيه ، فأضاف (أكرم) في
خشونة :

- ولو أنك سعيد الحظ ، فسترى هذا بنفسك .

١٥٩

لم يبد أن (نور) قد سمع حرفاً واحداً مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار ، على مسافة متر واحد منه ، فقد بدت عيناه شارفتين ، وشفّت كل خلجة من خلجاته عن تفكير عميق ..

عميق للغاية ..

ثم فجأة ، قال في حزم :

- خصمنا ليس بشرياً .

حنق فيه الجميع فى اهتمام ، وغمغم الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- أهذا كل ما هداه تفكيره العبقري إليه !؟

استدار (نور) يواجههم فى حزم ، وتابع وكأني لم يسمع ما قاله الدكتور (عبادة) :

- ربما جاء من عالم آخر ، أو كان أحد المخلوقات ، التى عمرت الأرض ، قبل ملايين السنين ، أيام كانت الديناصورات هى كل سكان كوكبنا ، ولمسبب ما ، لم يقض عليه التطور ، ولم يقتله العصر الجليدى ، بل مرّ لملايين السنين بمرحلة تحوصل .



لم يبد أن (نور) قد سمع حرفاً واحداً مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار ..

قاطعہ الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف في صرامة :

- مستحيل !

صاح به (رمزى) فى حدة :

- لا تقاطع (نور) .

قال الرجل فى عصبية :

- ولكن ما يقوله ليس منطقيًا أو علميًا فالتحوصل
مرحلة تختصّ بها بعض الكائنات الدقيقة ، أو الفطريات ،
أو أنواع الجراثيم الراقية ، وفيها يحيط الكائن نفسه
بحوصلة قوية ، يكمن داخلها ، ويوقف نشاطه تمامًا ،
عندما تتازم الأحوال البيئية أو المناخية من حوله ،
وتستمر حالة تحوصله وكمونه ، حتى تتحسن الأحوال
الخارجية ، وتناسب نموه ، فيزيل حوصلته ، ويعود
إلى نشاطه .

قال (نور) فى حزم :

- وهذا بالضبط ما حدث .

هتف الدكتور (عبادة) مستكراً :

- لملايين السنين .

غمغم الدكتور (رمسيس) فى تردد :

- لقد عثرنا فى بعض المقابر الفرعونية على كائنات
متحوصلة ، منذ آلاف السنين (*) ، ولكن ليس منذ
الملايين .

هتف الدكتور (عبادة) :

- هذا بالنسبة للكائنات الدقيقة كما قلت ، ولكن كل
مراجع الطب البيطرى ، وعلم البيولوجيا ، وعلوم
الكائنات الدقيقة ، لم تشر إلى احتمال ، ولوضيل للغاية ،
أن يكون هناك كائن بهذا الحجم ، يمتلك القدرة على
التحوصل .

ثم لوّح بسبّابته فى وجه (نور) ، مستطردًا :

- وأتحدّك أن تثبت العكس .

(*) حقيقة .

تطلّع إليه (نور) فى هدوء ، قائلاً :

- فلنؤجل التحديات والإثباتات إلى النهاية يادكتور (عبادة) ، فعلى الرغم من ثقتى التامة بكل ما قلته ، نظراً لتجربة عقلية منفردة ، إلا أننى لا أملك دليلاً واحداً على صحته .

هتف الدكتور (عبادة) :

- أسمعتم ؟!

لكزه (أكرم) بمرفقه ، قائلاً فى صرامة :

- اصمت يارجل ، واستمع إلى القائد .

عقد الدكتور (عبادة) حاجبيه فى حنق ، وأطبق شفثيه فى غضب ، فتطلّع إليه (نور) لحظة ، ثم تابع بنفس الحزم :

- لقد انتهت حالة تحوصله منذ مليون عام .. فترة طويلة للغاية ، لينمى قدراته وطاقاته ، وليكتسب قوى جديدة هائلة ، على رأسها قدرته المذهلة على

إنتاج أطنان من البلازما الصناعية ، ومزجها بقدره هائلة على صنع الوهم المتحرك .. تماماً مثل ذلك العقرب ، الذى هاجم للدكتور (مينا) ، والعنكبوت الذى كاد يلتهمنا ، وأشياء عديدة أخرى ، أحاطت بنا فى كل مرحلة من مراحل هذه القضية ، التى لا تخضع لأية قواعد عهدناها فى عالمنا من قبل .

سأله (أكرم) فى انفعال :

- أتضى أن كل ما مرّ بنا كان مجرد وهم يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- وهم من نوع خاص للغاية .. نوع متطور ، لم نعهده من قبل .. ليس خداعاً بصرياً ، كالصور والمشاهد الهولوجرامية المجسّمة ، التى نصنعها بأشعة الليزر ثلاثية الأبعاد ، بل هى مزيج من البلازما ، التى أنتجها طوال مليون عام ، مع صورة وهمية تكسوها ، بحيث تبدو المشاهد حية واقعية ملموسة ، على الرغم من أنها مجرد وهم .

هزّت (سلوى) رأسها فى توتر ، مغمّمة :

- من الصير أن أصدّق أن كل مامررنا به كان وهماً .

قال (نور) فى حزم :

- دعينى أوضح الأمر أكثر يا عزيزتى .. هل تدرين كيف نشأت نظرية الموتى الأحياء ، أو (الزومبى) ، التى ارتبطت بسحر (الفودو) ؟! إتنا نعلم ونؤمن جميعاً ، بأن الموتى لا يعودون قط إلى الحياة ، إلا بإرادة الخالق (عزّوجلّ) ، ولكن البلازما مادة ملموسة بالفعل ، فإذا ما كساها قناع من الوهم ، لتبدو أشبه بالميت ، ثم تم تحريكها بوساطة قوى عقلية متطورة ، فإن هذا سيوحى بأن سحر (الفودو) قد أعادها إلى حالة بين الموت والحياة .. هذا بالضبط ما واجهناه .. مادة فعلية ، لها كيان حقيقى ، وتحركها قوى عقلية هائلة .. مادة قادرة على قتلنا بالفعل ، ولكنها تحمل هيئة وهمية لشىء يمكن أن يثير خوفنا ورعبنا .

هتف (أكرم) :

- إذن فذلك العنكبوت كان قادراً على قتلنا بالفعل .

أجابه (نور) :

- بالتأكيد ، ولكن ليس بسم عنكبوتى حقيقى يا صديقى .. كان يكفى لقتلنا من شدة الرعب فحسب .. تماماً كما حدث مع العلماء المصريين فى (القاهرة) .. علماء البعثة الأولى .

قال الدكتور (حجازى) فى اعتراض :

- هذا لا يفسر أمر تلك المادة السوداء ، ذات العناصر المجهولة ، التى حلت محل دماء الدكتور (مينا) (رحمه الله) ، ولذلك الوحش الرهيب ، الذى نبت منها ، ليئلتهمها كلها فى نهم ، والنّى ما كنا سنكشف غرابتها ، لو لم تتبىق العينة ، فى جهاز التحليل الإليكترونى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول في حزم :

- كانت هذه هي الخدعة الكبرى ، التي استلزمت كل البراعة يا دكتور (حجازى) :

هتف الطبيب الشرعى بكل الدهشة والاستنكار :

- مستحيل يا (نور) ! لقد قمت بتحليلها بنفسى .

هزأ (نور) رأسه نفياً ، قبل أن يقول :

- بل قام جهاز التحليل الإليكترونى بهذا يا دكتور (حجازى) .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- وما الفارق !؟

قال فى حزم :

- فارق كبير ، فالأجهزة الإليكترونية أسهل فى الخداع .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

- جانبك التوفيق هذه المرة يا (نور) ، فالجهاز الذى قام بتحليل العينة ، جهاز حديث للغاية ، ونسبة الخطأ فيه تقل عن واحد فى المليون .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

- الجهاز لم يخطئ ، ولكنه خُدع .

هتف الدكتور (عبادة) :

- وكيف !؟

أجابه (نور) فى سرعة :

- منذ حدث هذا ، وأنا أتساءل عن سبب المبالغة الشديدة فى الموقف .. نداء سوداء ، ووحش غريب ، ونيران .. مشهد عنيف للغاية ، للتخلص من جثة ، كان يمكن أن تحترق أمام أعينكم ، دون أن يملك أحدكم وسيلة واحدة لمنع هذا .

تعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .

أما الدكتور (عبادة) ، فتساعل فى عصبية :

- لماذا حدث كل هذا إذن !؟

أجاب (نور) بنفس السرعة :

- لتشتيت الانتباه .

اتسعت العيون كلها فى دهشة حائرة ، فتابع فى

حماسة :

- لقد كان هذا الأمر يشغلنى بشدة منذ حدوثه ،

فالدكتور (فريد) والدكتورة (عبلة) قتلتهما الرعب

وحده .. رؤية ذلك الكاهن الرهيب ، مع المظاهر المخيفة

التي أحاطت به ، قتلتهما رعباً .. ثم جاء مصرع

الدكتور (مينا) على نحو مختلف تماماً .

غمغمت (نشوى) فى حيرة متوترة :

- ولكننا شاهدنا كل هذا بأنفسنا .

قال (نور) :

- شاهدنا عشرات العقارب الحمراء تهاجم الجميع ..

ثم أتركنا بعدئذ أن العقارب التى هاجمتنا ، والتى شعرنا

بأقدامها تتسلق ملابسنا وأجسادنا فى وضوح ، كانت

مجرد وهم .. حتى العقرب ، الذى تصورنا أنه قد قتل

الدكتور (مينا) ، اتسحق تحت قدم (أكرم) ، وترك

حفنة من البلازما فحسب .

هتف الدكتور (حجازى) :

- ما الذى قتل الدكتور (مينا) إذن !؟

أجابه (نور) فى حزم :

- الرعب يا دكتور (حجازى) .. نفس الرعب الذى قتل

رفيقه .. أما ما رأيناه جميعاً من أسود وجهه وانتفاخه ،

فلم يكن سوى وهم خداعى فائق .. حتى عينة الدم

الأسود ، والوحش العجيب .. كلها مزيج من الخداع ،

والبلازما ، وقدرة العقل المذهلة على التحريك .. لهذا

احترقت الجثة عن آخرها ، واحترق الوحش معها ،

حتى يستحيل إدراك الخدعة ، التي تهدف إلى إقناعنا
بحدوث تغيرات مادية في جسد الضحية ، وإبعاد أذهاننا
عن فكرة الوهم الفائق .

هتف الدكتور (عبادة) معترضاً :

- فلنفترض أن قدرته على خداع حواسنا قد جعلتنا
نرى الدماء العادية وكأنها سائل أسود لزج .. كيف
أمكنه إقناع جهاز تحليل العينات الإلكتروني بهذا أيضاً .

أجابته (نور) :

- لم يكن بحاجة إلى هذا ، فالعينة التي فحصها الجهاز
كانت بالفعل لمادة سوداء لزجة ، غير معروفة في
عالمنا .. أو بمعنى أدق ، في زمننا هذا .. مادة كان
لها وجود في الأرمنة السحيقة ، منذ ملايين السنين ..
ربما هي نتاج عملية تطور قشرة الأرض نفسها ،
أو هي بقايا نيزك هوى من الفضاء الخارجي يوماً ما ،
في أثناء تكون كوكبنا .. المهم أنه قد تم استبدالها بعينة
الدم ، في أثناء انشغالكم بالظواهر الوهمية المخيفة ،

حتى تكتمل الخدعة ، ويصبح لدينا دليل على حدوث
تغيرات مادية .

هزت (سلوى) رأسها في حيرة ، قائلة :

- وما الغرض من إثبات هذا ، أو بذل الجهد لإقناعنا
به !!

أجابها (نور) في حزم :

- لأنه يعلم أننا أنكباء بدرجة كافية ، بحيث يمكننا
كشف حقيقته ، وإزاحة القناع ، الذي يحكم به سيطرته
على المنطقة كلها ، منذ آلاف السنين .. لهذا كان
لا بد أن يدمر كل الوثائق والصور والأقلام الخاصة بالبعثة
الأولى ، وأن يستعيد كل شيء ، وإلا لأمركننا بعد حين ،
طل أم قصر ، أن قوته كلها تكمن في الوهم .. الوهم
الملموس ، الذي لم يعرفه علمنا قط .

قال الدكتور (رمسيس) في توتر ، وهو يتحسس
جدران المعبد مرة أخرى :

- هل تعنى أنه من المحتمل أن يكون كل هذا مجرد وهم !؟

عقد (نور) ساعديه أمام صدره فى حزم صارم ، وهو يقول :

- إنه كذلك بالتأكيد .

ثم التقى حاجباه ، مضيفاً فى حزم أكثر ثقة :

- ولو أردتم رأيى ، فهو لم يغادر المكان أبداً .. إنه هنا .. يراقبنا ، ويستمع إلينا ، ويدرس ردود أفعالنا .. و ...

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

- ويتميز غضباً ؛ لأننا قد كشفنا أمره .

لم يكذ ينطق العبارة الأخيرة ، حتى ارتجت جدران المعبد فى عنف ، وبدا وكأنها ستتهار على رعوس من بداخله ، فانتطقت صرخاتهم المذعورة ، فيما

عدا (نور) و(أكرم) .. الثأنى تلفت حوله فى توتر بالغ ، وهو يقبض فى عصبية على مسدسه ، الذى لم تعد خزائنه تحوى سوى رصاصة واحدة ..

والاؤل وقف ثابتاً ، قوياً ، متماسكاً ، تطل من عينيه نظرة صارمة ، تفيض بالحزم والتحدى ..

ثم اتهارت الجدران ، واتهار سقف المعبد فجأة ..

لم تسقط كلها كجدران ، أيأ ما كانت ماهيتها ..

وإما ككتلة ضخمة من البلازما ..

كتلة شبه سائلة ، حمراء ، لزجة ، تهاوت وانتشرت بين أقدامهم فى سرعة ، حاملة معها الدليل على صدق كل كلمة نطق بها (نور) ..

فهناك ، وفى نفس موضعه السابق ، كان يقف ذلك الكاهن الرهيب ..

وخلفه ، وعلى عمود من الرخام ، استقر (إصبع الشيطان) ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى ..

والكل يقفون وسط الأحرار مباشرة ..

وكان هناك آخرون ..

جيش من الزوج البدائيين ، يصوبون إلى (نور)
ورفاقه أسلحتهم ..

« ما ترونه الآن ليس وهماً .. »

انطلق الصوت صارماً ، جافاً ، غاضباً ، في أعماق
أصاقي مخ (نور) ، الذي اتعقد حاجباه في شدة ، وعيناه
ترصدان أسنة الرماح ، ورعوس السهام الحادة ..

فكلها ، في تلك اللحظة ، كانت تحمل له ولرفاقه
الموت ..

الموت وحده ..

وبلارحمة ..

* * *

٧- ثورة ..

اتعقد حاجبا الدكتور (جلال) في شدة ، وهو يطالع
النتائج ، التي تراصت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، في
مركز الأبحاث العلمية ، قبل أن يقول في توتر :

- هذا التقرير غير قابل للتصديق .

أجابته كبير العلماء في حزم :

- مهما بدا عجيبياً ، فهو ما توصلنا إليه ، بعد أن
درسنا كل شيء ، وفحصنا كل النتائج .

ثم اكتسب صوته ثقة وصرامة ، وهو يضيف :

- هذه الأحرار كلها ليست سهوى نمط خداعي
متفوق ، لم تبلغه علومنا بعد ، وكل ما تحويه ليس
نباتياً ، بل وليس حتى حقيقياً .. إنه مزيج عجيب ،
يتكوّن في أساسة من البلازما والفسفور ، مع مجموعة
من عناصر نادرة أخرى ..

حدق الدكتور (جلال) فى النتائج على الشاشة ،
وغمغم بصوت لم تفارقه الدهشة بعد :

- بلازما وفسفور ، بكل هذه الكمية .

وصمت لحظة ، ثم هتف مستنكراً :

- مستحيل !

أجابه كبير العلماء :

- هذه الاستحالة العلمية هى ما أرىكنا فى البداية ،
لولا أن اتفقنا على أننا أمام حالة غير نمطية ، وينبغى
أن نتعامل معها بأسلوب وتفكير غير نمطى .. ومن هنا
فقط تفتحت أمامنا الحقائق ..

وأشار إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطرذاً فى حسم :

- فى عالمنا ، وبإمكانياتنا المتطورة المعاصرة ، من
المستحيل إنتاج كل هذه الكمية من البلازما ، فإنتاج
مثلها ربما يحتاج إلى ما يقرب من مليون عام .

غمغم الدكتور (جلال) مستنكراً :

- مليون عام .

أجابه كبير العلماء فى حزم :

- نعم .. مليون عام .. وهذا يضعنا أمام احتمالين ،
لا ثالث لهما .. إما أن يكون خصمنا من عالم آخر ،
يفوق تطورنا ألف مرة على الأقل ، أو أنه كان لديه
الوقت الكافى لإنتاج كل هذه الكمية .

قال الدكتور (جلال) فى استنكار أكثر :

- كان لديه مليون عام !؟

أجابه كبير العلماء :

- ليس هذا فحسب ، ولكنه عاصر حضارة سابقة
أيضاً ، خلال هذه الأعوام المليون .. حضارة بلغت
أوجها ، قبل أن تفسح الطريق لحضارتنا
هذه ، التى لم تبلغ فيها ما بلغته تلك الحضارة
السابقة بعد ، وهذه نظرية علمية قديمة ، يكشف
العلم فى كل يوم ما يؤيدها* ..

(*) حقيقة ، فهناك شواهد عدة على وجود حضارة قبلنا ، بلغت
درجة مذهلة من التقدم العلمى ، ثم فنيت لأسباب خارجية ، أو لحروب
داخلية ساحقة شاملة ..

بدأ اعتراض الدكتور (جلال) يتخاذه ، وهو يغمغم :

- وكيف لم يفن معها !؟

أجابه عالم آخر فى انفعال :

- لنفس السبب الذى جعله يحيا لملايين السنين .. لأنه يمتلك القدرة على التحوصل ، أو الكمون طويل المدى ..

ثم أضاف كبير العلماء فى حزم :

- لاحظ أن العلم والحفريات الجيولوجية تكشف حتى الآن ، أشكالاً وألواناً من الحياة ، التى سادت الأرض ، منذ ملايين السنين ، والتى لم تكن ندرى بوجودها قط ، فما بالك بأشكال الحياة التى فئيت بالكامل ، دون أن يصلنا عنها دليل واحد !؟

صمت الدكتور (جلال) طويلاً ، وهو يفكر فيما سمعه ورآه ، قبل أن يغمغم فى خفوت شديد :

- إنن فأنتم تستبعدون نظرية القادم من عالم آخر .

أجابه كبير العلماء فى ثقة :

- إنه لن يحمل معه أطناناً من البلازما والفسفور ،

فقط ليحيط نفسه بعالم وهمى ، ينطوى داخله لآلاف السنين .

أوما الدكتور (جلال) برأسه متفهماً ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

تبادل العلماء نظرة صامتة ، قبل أن يتحنج أحدهم ، قائلاً :

- هناك مشكلة أخرى .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق :

- وما هى !؟

أجابه فى حذر :

- النشاط الإشعاعى الحيوى ، المنبعث من تلك الأحراش ، بلغ حده الأقصى ، ولم يعد يشبه تلك الخاص بعمليات الهضم .. لذا فقد استعنا بخبير نفسى ، متخصص فى تفسير الانبعاثات الحرارية الحيوية .

سأله الدكتور (جلال) ، فى لهفة أشد قلماً :

- وماذا قال !؟

أجابه كبير العلماء هذه المرة :

- أولاً ، قال : إن الأحراش تموج الآن بأعداد كبيرة من البشر ، لم يكونوا هناك فى التسجيلات السابقة .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يحاول إيجاد تفسير لهذا ، متسائلاً فى حذر قلق :

- وثانياً ؟!

تبادل العلماء نظرة صامته أخرى ، قبل أن يجيب أحدهم :

- أن الانبعاث الحرارى الحيوى ، يشبه ذلك الذى ينبعث من شخص مختل عقلياً ، وغاضب إلى أقصى درجة ، ويسعى لـ ..

لم يستطع إكمال عبارته ، من شدة توتره وتردده ، فهتف به الدكتور (جلال) :

- لماذا ؟!

صمت العالم لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- للقتل .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وانتفض جسده كله بعنف ..

بمنتهى العنف ..

* * *

لدقيقة كاملة ، لم يتحرك أحد ، أو ينبعث حرف واحد من أى مخلوق ..

لا (نور) ورفاقه ، ولا جيش الزنوج البدائيين ، الذى يصوب إليهم أسلحته ..

وطوال تلك الدقيقة ، كان (نور) يتطلع إلى عيني ذلك الكاهن الناريتين مباشرة ، فى تحد صارم قوى ، قبل أن يقول فى غضب :

- والآن ماذا ؟!

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يلوح بمسدسه :

- (نور) .. أهذا وهم أيضاً ؟!

غمغمت (سلوى) فى رعب :

- إنه بيدولى حقيقة .

غمغت (نشوى) :

- وأنا أيضا ..

ولم ينبس الدكتور (عبادة) ، أو الدكتور (حجازى) ،
أو الدكتور (رمسيس) ، أو حتى (رمزى) بحرف
واحد ، وهم يديرون عيونهم فى ذلك الجيش البدائى
الرهبى ..

أما (مشيرة) ، فقد هتفت فى سخط :

- أكلن من الضرورى أن يتعلل عمل آلة التصوير!؟

التفت إليها (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، قبل أن

يهتف فى حنق :

- يا للنساء!

ثم يسأل (نور) مرة أخرى ، فى عصبية أشد :

- أهذا وهم أم حقيقة يا (نور) !؟

أجابه (نور) فى صرامة :

- بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة .

« لقد أثبت أنك أكثر نكاءً ، من كل من تعاملت معهم

فى حياتى الطويلة بالفعل .. »

اتبعت الصوت الغاضب داخل عقل (نور) ، الذى ازداد
انعقاد حاجبيه ، دون أى تعليق ، فواصل الصوت فى
غضب أكثر :

- الآخرون عجزوا عن استيعاب حقيقتى ..
لا أحد أمكنه أن يتخيل الأمر .. كلهم خدعهم العالم
الوهمى ، الذى أحيط نفسى به ، ولم يمكنهم رؤية
الحقيقة .

قال (نور) فى صرامة :

- والآن سقط القناع ، وانكشفت الحقيقة .

بدا له الصوت ، الذى يتردد داخل عقله ، وكأما
أضيفت إلى الغضب فيه رنة ساخرة ، وهو يقول :

- الحقيقة!؟ كلاً أيها العبقري .. لقد توصلت إلى
الكثير ، ولكنك لم تصب كبد الحقيقة بعد .

واتعقد حاجبا (نور) بشدة أكثر وأكثر ، عند هذه النقطة ..

لم يصب كبد الحقيقة !؟

هناك أمر ما زال ينقصه إذن ..

أمر حيوى للغاية ..

أمر يصنع الفارق ، بين معرفة التفاصيل ، وإصابة كبد الحقيقة مباشرة ..

ولكن ما هو !؟

ما هو !؟

« لاتجهد نفسك ؛ لأتلك لن تكشفه قط .. مهما بلغت عبقريتك .. »

لم يسمع الآخرون العبارة ، التى لتقطها عقل (نور) وحده ، ولكنهم سمعوه جميعاً يقول فى صرامة :

- أهذا تحد آخر !؟

بنت عليهم الحيرة ، ولكن أحدهم لم يعلق أو يعترض ،

وقد أدركوا أن حواراً خاصاً خفياً ، يدور بين عقله وعقل خصمه وحدهما ، والذى قال فى سخرية :

- اعتبره كذلك .. اعتبره التحدى الأخير .

مع آخر العبارة ، التى تردت فى عقل (نور) ، رفع الكاهن يديه ، وبينهما تلك الجمجمة غير البشرية ، فتألفت عيون الزوج المحيطين به ، وجذب بعضهم أوتار الأقواس ، فى حين رفع الآخرون رماحهم فى تحفز ، وذلك الصوت الشامت يتابع ، فى أعماق أعماق عقل (نور) :

- الذى سيدفن معكم جميعاً .. هنا .

وبدا من الواضح أنها النهاية ..

نهاية عملية الكاهن الرهيب ..

ونهاية (نور) .. وفريقه ..

تماماً ..

* * *

رياح عجيبة ، تلك التي بدأت تهبّ على عاصمة تلك
الدولة الإفريقية ، مع اقتراب منتصف الليل ..

رياح ساخنة ، قوية ، تحمل رائحة عجيبة مخيفة ..
رائحة الخطر ..

والشر ..

ومن خلف نافذة حجرته الكبيرة ، وقف رئيس
الدولة ، يراقب تأثير تلك الرياح على أشجار حديقته ،
وهو يتمتم في توتر بالغ :

- إنني لم أشهد رياحاً كهذه منذ مولدي .

تمتم مدير المخابرات ، الواقف إلى جواره :

- وأنا أيضاً .

التفت إليه الرئيس ، متسائلاً :

- هل بلغت أية معلومات ، عن رد فعل رجل الشرع

العادي ، إزاء هذه الرياح العجيبة !؟



أوما مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

- الوقت متأخر ياسيادة الرئيس ، وغدًا يوم عمل ،
لذا فقد أوى الكل تقريبًا إلى بيوتهم ، والخوف يملأ
نفوسهم ، من هبوب هذه الرياح ، فى الليلة التى
يتصوِّرون أنها ليلة الحسم .

غمغم الرئيس :

- ليلة الحسم !؟

أجابه مدير المخابرات :

- نعم ياسيادة الرئيس ؛ فليسبب ما عجز خبراء علم
النفوس عن تفسيره ، يوقن الشعب كله أن المواجهة
بين المصرى (نور الدين) ، بطل التحرير ، ونلك الكاهن
الرهيب ، ستحسم حتمًا ذلك الرعب ، الذى طال لآلاف
السنين .

قال الرئيس فى قلق :

- السؤال هو : ستحسم لصالح من !؟

قال مدير المخابرات :

- الأمل يراود الشعب ياسيادة الرئيس .

سأله :

- الأمل فى ماذا !؟

أجاب مدير المخابرات فى سرعة :

- فى التحرُّر .

تنهَّد الرئيس ، وتمتم فى خفوت :

- لبت هذا يحدث .

ثم هزَّ رأسه ، مستطرِّدًا فى مرارة :

- وكم يؤسفنى أن يأتى الخلاص على يد المصريين ،

وليس على يدنا نحن .

تمتم مدير المخابرات :

- المهم أن يأتى .

أوما الرئيس برأسه مؤيدًا ، وهو يتمتم بخفوت

شديد :

- صدقت .

ينتظرون الموت برمح قديم ، أو سهم يخترق العنق ،
أو يغوص في القلب ..

هذا لأن الزنوج ، الذين يحيطون بهم ، ويتحفظون
لقتلهم ، بتلك الأسلحة البدائية ، كانوا يبدون مسلوبى
الإرادة ، خاضعين لتأثير ذلك الكاهن الرهيب
تماماً ..

ولقد برقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ..

وحملتا كل الشر ..

والغضب ..

والشماتة ..

والجمجمة غير البشرية ، التى بين يديه ، بدأت
تتألق ..

وتتألق ..

وتتألق ..

و ...

واعتدل ، يتطلع إلى أشجار حديقته ، وهى تتمايل
بشدة ، وتتساقط بعض أوراقها الجافة ، بتأثير الرياح
الساخنة ، قبل أن يقول فى توتر أكثر سخونة :
- فلنأمل أن ينحسم الأمر لصالحنا نحن .

التفت إليه مدير المخابرات فى دهشة ، فأضاف فى
حزم :

- نحن البشر .

وكانت عبارته صادقة تماماً ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

توتر عنيف ، ذلك الذى سرى فى جسد (أكرم)
وأصابه تكاد تعصر مقبض مسدسه ، الذى لم تعد
خزائنه تحوى سوى رصاصة واحدة ..

أما الباقون ، فقد اتسعت عيونهم فى رعب ، وهم

وفجأة ، انطلق ذلك الريح ، يشق هواء الأعراس
بمنتهى القوة ..

وأمام عيون الجميع ، اخترق تلك الجمجمة ، وانتزعها
من بين يدي الكاهن ، وطار بها لثلاثة أمتار أخرى ، قبل
أن يسقط معها ، وينغرس في الأرض ، وسط الأغصان
المتشابكة ..

واستدارت العيون كلها في سرعة ، إلى المصدر ،
الذي انطلق منه ذلك الريح ..

وخاصة عينا الكاهن الغاضبتين ، اللتان اشتعلتا بكل
غضب الجحيم ..

وكانت (مشيرة) أول من هتف ، في دهشة وفرحة
بلا حدود :

- سيّد (أمجد) .

حدّق الكل في (أمجد صبحي) ، الذي برز من بين
الأعراس ، قائلاً بابتسامة ساخرة :

- مرحباً أيها السادة .. هل أدهشتكم رؤيتي هنا ؟
هتف (أكرم) :

- بل أسعدتنا في الواقع يا سيّد (أمجد) .

وسأله (نور) في حذر متوتر :

- ولكن كيف ؟! كيف أتيت إلى هنا ؟!

هزّ (أمجد) كتفيه ، مجيباً بابتسامة ، لا تتناسب قط
مع الموقف :

- بمظلة .

اشتعلت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وخاصة بعد أن بدا
وكان جيش المقاتلين البدانيين الزنوج الذي يتبعه ،
قد أفاق من سبات شيطاني عجيب ، فور انتزاع الريح
للجمجمة غير البشرية من بين يديه ، فقد انخفضت
الأسهم ورعوس الرماح ، مما جعل الدكتور (عبادة)
يهتف في انفعال :

- رباه ! لقد تأجلت لحظة موتنا .

رفع الكاهن ذراعيه فجأة ، وبدا وكأن عيناه قد اشتعلتا بنيران حقيقية ، استعاد معها سيطرته على جيش الزنوج ، فهتف (أمجد) فى سخرية :

- مهلاً أيها الأراجوز^(*) .. استعادة السيطرة ليست بالأمر السهل ، فأنا لم آت وحدى .

بدت الحيرة على وجوه الكل ، مع عبارته هذه ، وغمغم (نور) فى حذر :

- ماذا تعنى ياسيد (أمجد) !؟

عقد (أمجد) ساعديه القويين أمام صدره ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- يمكنك أن تقول : إننى أقود ثورة أيها المقدم .

ومع قوله ، برز جيش آخر من الزنوج من حوله ..

(*) الأراجوز : المهرج الشعبي باللغة العامية المصرية ، وأصل

الكلمة (قراقوز) .

جيش صوب أسلحته إلى الكاهن ، والزنوج المحيطين به ..

جيش طلا وجهه بطلاء الحرب ..

وفى هدوء مستفز ، تابع (أمجد) :

- لقد فاض الكيل ببعضهم ، وقرروا الثورة على تلك الديكتاتورية الشيطانية ، التى سيطرت على أجدادهم لآلاف السنين .

« ثورة !؟ يا للسخافة .. »

سمع (نور) العبارة فى أعماق عقله ، فغمغم فى صرامة :

لكل شيء نهاية .

أتاه ذلك الصوت رهيباً ، قاسياً ، صارماً ، غاضباً ، وهو يقول ، بعبارة لم يسمعها سوى عقل (نور) وحده :

- وبداية أيضاً .

ومع آخر القول ، رفع الكاهن ذراعيه مرة أخرى ،
ثم فتح فكيه عن آخرهما ، فأتلق من بينهما لسان من
نار ..

لسان رفيع طويل ، أضاء المكان كله ، فأتلقت
صرخات الزنوج فى ألم وقوة ..

ومن الجانبين ..

الجيشان معاً راحا يطلقان صرخات ألم هائلة ، والكل
يفلت أسلحته ، ويرفع كفيه ليمسك جاتبي رأسه ،
وكتما اخترق لسان اللهب هذا عقولهم جميعاً ،
وأذاب أمخاخمهم بلارحمة ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

- ماذا؟! ماذا يفعل بهم؟

وانهار الدكتور (عبادة) هاتفاً:

- إنها النهاية .. إنها النهاية ..

ولوح (أكرم) بمسدسه فى توتر ، وهو لا يدرى

ما الذى يمكنه أن يفعله ، فى حين تراجع الدكتور
(حجازى) والدكتور (رمسيس) بحركة آلية ،
وصرخت (نشوى) رعباً ، وهتفت (مشيرة) فى
حنق :

- لماذا تعطلت آلة التصوير؟! لماذا!؟

وفى حركة سريعة ، وثب (أمجد) يلتقط رمحاً آخر ،
وهتف ، وهو يقذفه نحو الكاهن بكل قوته :

- لن تنتصر أيها الوغد .

تساقط الزنوج من الجانبين فأقدى الوعى ، فى نفس
اللحظة التى تطلق فيها الرمح القوى ، وغاص فى جسد
الكاهن ، لينفذ من ظهره ، فى مشهد رهيب ولكنه لم
يسقط ..

فقط ، اشتعلت عيناه أكثر ، وهو يخفض ذراعيه ،
وينتزع الرمح من صدره فى بضع ، جعل (مشيرة)
تتمتم فى رعب :

- رباہ ! إنه لا يموت بالفعل .

واعتقد حاجبا (نور) و(أمجد) فى شدة ، أمام تلك
الظاهرة غير البشرية ، و ...

وفجأة ، ألقى الكاهن الريح نحو (أمجد) ..

وبكل قوته ..

وبرد فعل سريع ، مال (أمجد) جانبًا ، وانحنى
متفادياً ذلك الريح ، الذى انغرس فى جذع الشجرة
خلفه ، ولكنه لم يكد يعتدل ، حتى التفت أغصان
الشجرة نفسها نحوه ، وضمته إليها فى قوة ، فهتف
(نور) :

- يا إلهى ! السيد (أمجد) ..

أنا ذلك الصوت العقلى ، يقول فى شماته :

- إنه غبى .. لقد تحدى قوتى وخبرائى .. لذا

فسيموت .. تمامًا كما ستموتون جميعًا .

صاح (نور) فى صرامة :

- أقتعتك كلها سقطت أيها الحقير .. وهمك لم يعد
قادرًا على خداعنا .

بدا الصوت ساخرًا واثقًا ، وهو يقول ، داخل عقل

(نور) مباشرة :

- لوهم مجرد وسيلة .. وسيلة أبعدت عنى الكائنات
الضخمة منذ ملايين السنين .. وسيلة منحلتى عشرات
التابعين ، الذين لا هم لهم سوى خدمة وحماية
سيدهم .. أنا .

اعتقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- نعم .. التابع يخدم ويحمى سيده .

ثم ارتفع صوته ، وهو يقول فى صرامة :

- ولكنك أسقطت كل تابعيك أيها الأحمق .

لقد كانت ثورة شيطانية ، يسيطر خلالها خصمه
على عقول الباقين ، ويدفعهم نحو هدف يحقق له
الانتصار ..

نحو قتل (نور) ..
وبلا رحمة .

* * *



حمل الصوت سخرية الدنيا كلها ، وهو يتردّد في
عقل (نور) ، قائلاً :

- مازال هناك تابعون آخرون ..

خُيّل إليه أن العبارة قد انتهت بضحكة ساخرة شيطانية
عجيبة ، امتزجت بصيحة (أكرم) :

- رباہ ! الرفاق .. ماذا أصابهم يا (نور) !؟

واستدار (نور) بحركة حادة ..

ثم انتفض جسده كله في عنف ..

فأمامه مباشرة ، وباستثناء السيّد (أمجد) ، الذي
يقاوم أغصان الشجرة القوية في استماتة ، و (أكرم)
الذي يتراجع في ارتياح ، كان الجميع يتقنمون نحوه ،
وعيونهم تشتعل كعيون ذلك الكاهن ، وملاحهم
تحمل الشر ..

كل الشر ..

٨ - الختام ..

فجأة ، انقضى الرفاق على (نور) و(أكرم) ..

انقضوا بغضب عجيب ، وشراسة بلا حدود ، وعيونهم
تشتعل بنظرة ذلك الكاهن الرهيب ، وكأنما استقرّ في
كينونتهم ، وسيطر على عقولهم ومشاعرهم ، ليدفعهم
إلى الهجوم على رفيقيهما ..

وتمزيقهما إربًا ..

ومن موقعه ، الذى يقاوم فيه أغصان الشجرة
الحية فى استماتة ، شاهد (أمجد) (نور) و(أكرم)
يتراجعان أمام رفاقهما ، وهما عاجزان عن مواجهة
هجومهم الشرس ..

وكان باستطاعته أن يفهم دقة وحساسية الموقف ..

فكم كان داهية ذلك الكاهن ، عندما سيطر على عقول
الآخرين ..

من المستحيل أن يقاتل (نور) زوجته ، أو ابنته ،
أو رفاق عمره !

مستحيل !

و(أكرم) أيضًا ، لن يطلق النار على رفاقه ..

حتى ولو كان الثمن حياته ..

كل ما فعله (أكرم) ، هو أن راح يتراجع ، هاتفاً :

- لا .. لا تدفعونى إلى العنف ..

ولكنهم لم يسمعوه ، وإنما انقضوا ، وهاجموا ..

وبمنتهى الوحشية ..

أما (نور) ، فقد انطلق عقله فى اتجاه آخر تمامًا ..

لقد فهم ما حدث فور حدوثه ..

فهم أن خصمه قد استغل وجود رفاقه فى قبضته ،

فشفى جراحهم وإصاباتهم ، ليسيطر على عقولهم ،

ويسلبهم إرادتهم ، من أجل لحظة كهذه .. ثم فجأة ،

وهو يستعد لصد هجوم رفاقه في بأس ، تفجرت في عقله عشرات المشاهد والعبارات والأحداث ..

التابع يخدم ويحمي سيده ..

الوهم مصدر قوته ..

الوهم يحميه من المخلوقات الكبيرة ..

الكاهن لم يتم رصده حراريًا في المتحف ، على عكس الإصبع ..

إصبع الشيطان ..

الكاهن صنع به أمورًا يعجز العقل عن تصديقها ، كما قال الدكتور (مينا) ..

الكل يخافه ..

ويخشاه ..

الكاهن أعلن وجوده ليستعيده ..

والتابع يحمي ويخدم سيده ..

يحمي ويخدم سيده ..

يحمي ويخدم ..

وفجأة ، أضىء عقله كله دفعة واحدة ، على نحو جعله يصرخ في (أكرم) بكل قوته :

- رصاصتك يا (أكرم) .. رصاصتك الأخيرة .

صاح (أكرم) ، وهو يتفادى انقضاضة رفاقه الأخيرة :

- مستحيل يا (نور) ! لن أطلق عليهم رصاصة واحدة .

مال (نور) جانيًا متفاديًا انقضاضة الدكتور (عبادة) ، ولكن المقاتل (أشرف) وثب نحوه ، وأسقطه أرضًا ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، فصرخ (نور) بكل قوته :

- الإصبع يا (أكرم) .. إصبع الشيطان .

لم يكن هناك وقت أو مجال للتفكير ، والمناقشة ، والفهم ..



ولكن رصاصه (أكرم) كانت تعرف طريقها جيداً ..
ويعتني الإحكام ..

لذا ، فلم يكد (أكرم) يسمع صرخة (نور) ، حتى
استدار بكل كيانه ، ورفع فوهة مسدسه ، و ...

وأطلق رصاصته ..

رصاصته الأخيرة ..

واشتعلت عينا الكاهن الرهيب ، وهو يتحرك في
سرعة ، وكأنما يحاول حماية الإصبع ..

ولكن رصاصه (أكرم) كانت تعرف طريقها جيداً ..

ويعتني الإحكام ..

والدقة ..

وأمام عيني (أمجد) ، نسفت رصاصه (أكرم)
ذلك الصندوق الزجاجي البدائي ..

ثم نسفت إصبع الشيطان نفسه ..

وكتعبان قاتل ، طار إصبع الشيطان في الهواء ، وهو
يتمزق إلى نصفين ، وتفجّر منه سائل أزرق ، تنثر في
الهواء ، الذي انطلقت فيه صيحة مكتومة رهيبه ، قبل
أن يسقط الإصبع مسحوقاً على الأرض ..

ومع سقوطه ، انهيار كل شيء بغتة ..
الأشجار ..

والنباتات الضخمة ..
والأغصان القوية ..

وحتى ذلك الكاهن الرهيب ..

ففي لحظة واحدة ، وجد (أمجد) نفسه يتحرر ، وكل شيء من حوله يذوب ، ويتحول إلى بحيرة ضخمة من البلازما الحمراء ، راحت الأرض تمتصها في شراهة ، في نفس اللحظة التي تجمد فيها الكاهن ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم ذاب فجأة ، وانسكب وسط بحيرة البلازما ، التي أحاطت بكل شيء ..
وفي نفس اللحظة ، تحرر الرفاق أيضاً ..

تحررت عقولهم ومشاعرهم ، وحدثوا في بعضهم في دهشة وذعر ، ثم حدثوا في بحيرة البلازما التي تحيط بهم ، قبل أن تهتف (سلوى) :

- رياه ! ماذا حدث ؟! ماذا أصاب كل شيء ؟!

نهض (نور) ، وأزاح المقاتل (أشرف) ، ثم اتجه في حزم نحو إصبع الشيطان ، الذي مزقته رصاصة (أكرم) ، وأشار إليه ، قائلاً في حزم :

- دعوني أقدم لكم خصمنا الرئيسي .

حنق الكل في بقايا الإصبع الممزق ، قبل أن يهتف الدكتور (حجازي) في ذهول :

- وماذا عن الكاهن ؟!

اعتدل (نور) ، قائلاً في صرامة :

- لقد انتهى .. ذاب ، فلم يكن كغيره سوى تابع صورة وهمية ، الغرض منها أن تحمي السيد الحقيقي ..
ذلك الإصبع .. إصبع الشيطان ..

وكانت مفاجأة غنية ومذهلة ..

وبكل المقاييس ..

* * *

« كاتن نادر ، عاش على الأرض منذ ملايين
السنين .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة، وهو يواجه أفراد الفريق، فى مقرهم الخاص، فى مبنى المخبرات العلمية، فى (القاهرة)، ثم التقط نفساً عميقاً، ليضيف:

- العجيب أنه قد تم العثور على بقايا كائنات مماثلة، فى حفريات قديمة، ولكن العلماء تصوّروا أنها بقايا مبتورة لبعض الكائنات النادرة، ولم ندرك، إلا بعد فحص بقايا ذلك الإصبع، أنها كائنات حية متكاملة.

هزّت (سلوى) رأسها، قائلة:

- لست أرى كيف تمكن (نور) من استنتاج هذا؟!

ابتسم (نور)، قائلاً:

- هو منحنا كل وسائل تدميره، دون أن يدري يا عزيزتى.. هو الذى حشا خزنة (أكرم) بالرصاصة ليثبت تفوقه، وهو الذى قال: إن مهمة التابع أن يحمى ويخدم سيّده.. وفى لحظة بعينها، استعداد عقلى تلك العبارة، مع كل الأحداث الغامضة الأخرى..

تذكّرت حديث أفراد البعثة الأولى فى رعب عن إصبع الشيطان، وقول السكان المحليين: إن الكاهن لا يموت أبداً.. والحديث عن موته عشرات المرات، ثم عودته إلى الحياة مرة أخرى.. تذكّرت كيف ظهر بغتة فى القاعة الجديدة فى المتحف، وكيف أن أجهزة الفحص الحرارى لم تلتقط أية علامة للحياة من جسده، فى حين أنها أشارت إلى أن الإصبع نفسه ييئس حرارة تشبه ماتبئه الأجساد الحية.. ثم تذكّرت فجأة أيضاً عبارة أخرى، قال فيها، عبر عقلى مباشرة، إن قدرته على الوهم تحميه دوماً من الكائنات الكبيرة.. كل هذا تراص فى عقلى فجأة، فاستنتجت الحقيقة.

تمتم (أكرم) مبهوراً:

- ويا لها من حقيقة!!

تابع (نور):

- لقد أدركت عندئذ أن الكاهن ليس هو السيّد.. إنه فقط للتابع الوهمى، الذى يولجه به إصبع الشيطان الكل، والصورة القادرة على إرهابهم وإخضاعهم..

صورة وهمية صنعها لتناسب الموقف ، نظراً لصعوبة أن يخضع الكل لكائن ضئيل ، في حجم وهينة إصبع بشرى .. وهذا هو سر قوة ذلك الكاهن .. إنه مجرد وهم .. وهم شبه مادي ، لا يمكن تكميره أو هلكه ، مادام العقل الذي ينجبه لا يزال على قيد الحياة .. وهم يحمي الكائن الضئيل من الكبار ، كما حماه منذ ملايين السنين من عصر الديناصورات الضخمة .

قالت (نشوى) في انبهار :

- إن فقد كان ذلك الإصبع كائناً متكاملًا ، يحيى لملايين السنين ، ويمتلك عقلاً جباراً .

وهنا قال الدكتور (جلال) :

- خبراؤنا يقولون : إن أسلافه لم يكونوا كذلك ، ولكنه نُفِنَ في نفس الموضوع ، الذي نُفِنَت فيه حضارة سابقة كبسولة خاصة ، تحوى كل علومها وفنونها ونماذج من تقنياتها المتطورة ، كومسيلة لإعلام الحضارات القادمة بأمر وجودها يوماً .. ولكي تحيا هذه الكبسولة لملايين السنين ، أُضيف إليها جهاز

بث قوى للغاية ، يطلق أشعة وموجات خاصة ، لم تكشف هويتها بعد ، لتحديد موقعها ، وجذب انتباه أية حضارة متطورة إليها .. تلك الموجات ، الشبيهة بموجات (جاما) على الأرجح ، ظلت تؤثر على الكائن المتحوصل لملايين السنين ، مما غير من تركيبه الأساسي ، وصنع منه تلك الطفرة ، التي حولته إلى كائن عبقري ، طويل العمر إلى درجة تقارب الخلود ، ويمتلك قدرات عقلية مذهلة ، تزيد عشرات الأضعاف على ما امتلکه أسلافه ، منذ ملايين السنين .. ولقد عثرنا بالفعل على بقايا تلك الكبسولة ، مدفونة في الموقع الذي كانت تحتله محرقة المعبد الوهمي .. وعلى عمق عشرة أمتار .. لقد استهلك ذلك الإصبع الشيطاني معظم محتوياتها ، ومنها تلك الجمجمة غير البشرية ، التي تركتها لنا الحضارة السابقة ، كدليل على اتصالها بكائنات من كواكب أخرى في أوجها ، وبذور النباتات التي لم يعرفها عالمنا قط ، وجهاز بث الموجات الشبيهة بموجات (جاما) ، والذي كن السبب الرئيسي في تقطاع الاتصالات ، وتوقف كل الآلات والأجهزة الإلكترونية ، التي تقع في مجالها .

قال (رمزي) :

- عظيم .. إن فقد أدى سقوط تلك الشر إلى كشف حضارة سابقة عظيمة .

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- من المؤسف أن معظم ماتحويه الكبسولة قد تلف ، بفعل عوامل الزمن ، ولكن ما تبقى فيها كثير ، وكثير جداً .. ولقد شكلنا لجنة مشتركة ، من علمائنا ، وعلماء تلك الدولة الإفريقية ، لكشف ما يمكن الاستفادة منه ، مما تبقى فيها .

تنهّدت (سلوى) ، واسترخت في مقعدها ، قائلة في ارتياح :

- لقد شاهدنا الأحوال هذه المرة ، ولكن من حسن الحظ أن انتهى كل شيء بسلام .

غمغم (نور) في أسي :

- بعد كومة من الضحايا للأسف .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- لكل معركة ضحاياها ، ولكن المهم أنكم قد قضيتم على شر عذب أجيالاً عديدة لآلاف السنين ، حتى إن شعب تلك الدولة يعتبركم أبطاله الآن .

وابتسم ، قبل أن يستطرد :

- ورئيس دولتهم يصرّ على منح الجميع ميداليات الشرف .

غمغم (أكرم) في ضجر :

- إتني أكره الرسميات .

ابتسم (نور) ، ممتماً :

- كلنا هذا الرجل .

ابتسم الدكتور (جلال) أكثر ، وهو يقول :

- ربما ينطبق هذا على معظمكم ، فأتّم هنا ، تتشغلون بعملكم عن حفلات تكريمكم ، والسيد (أمجد) عاد إلى عمله بعد تقديم تقريره للسيد الرئيس ، والدكتور

(محمد حجازى) عاد لفحص حالات الطب الشرعى
الحرجة ، ويشارك خبراؤنا فى فحص بقايا إصبع
الشيطان ، وكل ما تم الحصول عليه من البلازما ، التى
ملأت الأحرش الحقيقية هناك ، ولكن الدكتور (رمسيس)
يتحدث فى كل مكان عن عبقريته ، فى كشف زيف
المعبد ، ويصدر الآن كتاباً عن ارتباط إصبع الشيطان
بمولد عقيدة سحرة (الفودو) ؛ ليؤكد فيه أنه المسنول
عن مولدها .

سأله (أكرم) فى لهفة :

- وماذا عن الدكتور (عبادة) ؟!

ضحك الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- من العجيب أن تلقى أنت بالذات هذا السؤال ؟!

سأله (أكرم) فى توتر حذر :

- ولماذا ؟!

أجابته مبتسماً :

- لأن زوجتك السيدة (مشيرة) ، تجرى معه الآن ،
وفى هذه اللحظة بالذات ، لقاءً على الهواء مباشرة ،
ليتحدث عن البعثة ، ودوره الخطير فيها ، وشجاعته
الفائقة فى كشف حقيقة إصبع الشيطان .

صاح (أكرم) مستنكراً :

- فى كشف ماذا ؟! ولكن (مشيرة) تعرف ماكان
عليه الرجل هناك بالفعل .

أجابته الدكتور (جلال) فى سرعة :

- إنها تعلم بالطبع .

ثم غمز بعينه ، وابتسم مستطرداً :

- ولكن المشاهدين لا يعلمون .

انعقد حاجبا (أكرم) فى حنق ، فى حين انطلق
الباقيون يضحكون فى مرح ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها ضحكاتهم فى
(القاهرة) ، كان ضوء الشمس يغمر تلك المنطقة من

الأحراش الطبيعية ، في قلب (إفريقيا) ، والتي اتهمت
فيها فرقان من العلماء المصريين والأفارقة ، في
فحص بقايا كبسولة زمنية ، تركتها لنا حضارة سادت
الأرض قبلنا ، منذ ملايين السنين ..

وهناك ، عند قاعدة شجرة قديمة ، وتحت ضوء
الشمس ، الذي لم تشهده المنطقة منذ آلاف السنين ،
كان غلاف حويصلة صغيرة بنوب ..

حويصلة ظلت كامنة ، في الظروف غير
الطبيعية ، التي عاشتها المنطقة ، لأعوام طوال ..

مليون عام ..

تقريباً .

* * *

[تمت بحمد الله]

الشر



د. نبيل فاروق

ملف
المقبل
لجنة
روايات
بوليسية
للشباب
من الخيال
العلمي

137

الشمع في مصر ٢٥٠
ومابعائه بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم



• كيف يمكن أن يواجه البشر شللاً رهيباً
من النيران المنهمرة ؟

• هل يمكن أن يواجهه (نور) و (أكرم)
صحراء الشر الرهيبة ، دون خسائر
بشرية ؟

• ترى من ينتصر في هذه المواجهة الرهيبة
.. (نور) وفريقه ، أم قوى (الشر) ؟

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك
وكيانتك مع (نور) وفريقه .. من أجل
الأرض ..



العدد القادم
(الأعماق)